مجموعة قصصية

لينـدة طرودي

شَهوَة العَالم السّفلِي

شهوة العالم السّفلي

لينـدة طرودي

لا تلوموا الشيطان على استحواذكم
لأنّه اختياركم

بلغت هذه المجموعة القصصية اللائحة القصيرة لجائزة "رونق المغرب" في القصة (دورة 2019) وقد تم اختيار المجاميع القصصية الخمس من بين 15 مجموعة قصصية وصلت إلى اللائحة الطويلة بعد فرزها من بين 180 مشاركة من كافة الدول العربية

لينـدة طرودي

شَهوَة العَالم السّفلِي

شَهوَة العَالم السّفلِي

جميع الحقوق محفوظة

عنوان الكتاب: شهوة العالم السفلي

المؤلف: لينده طرودي

تصميم الغلاف: تقي الدين بن دردوخ

الماهر
للطباعة و النشر و التوزيع

تعاونية الفلاح، العلمة ولاية سطيف
البريد الإلكتروني: dar.elmaher@outlook.fr
الهاتف الثابت: 036.48.00.17
النقال : 0777.23.38.83
واتساب: 00213777233883

ISBN : 978-9931-762-49-2
D.L : 09-2019

شَهوَة العَالم السّفلِي

لیندة طرودي

شَهوَة العَالم السّفلِي

(مجموعة قصصية)

الماهر للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى 2019

إهداء

إلى كلّ من أعطى الحرّية لخياله،

لا تستسلم فالجنون يليق بك

مقدمة

"نحن في مجتمع يُحارب فيه العالِم العِلم كما يحُارب فيه الجاهِل الجَهل"

ستقرأ نفسك،

ستُخاطب شرّك وعُقدك، المُرتبطة بتمرّد شهوتِك، حينها تتحوّل إلى عبدٍ لرغباتِك، لن أكتب الرعب ها هنا، بل سأكتب هواجس البشر، أرجوكم لا تسمحوا لشيطانكم بتلبُّسكم، أو بالأحرى لا تستسلموا لأناكم، ستتحوّل الى أفعى تفترسكم دونما رحمة، فالحسد عدّو الإنسان الأوّل.

كل ما كُتب هنا يقظة، كل ما كتب هنا واقع نعيشه، هذه الفوضى الاجتماعية التي نغُوص فيها بحثًا عن الحقيقة، نحن في مجتمع لا يرحم المريض والناجح، والفقير.

عالم يعترف بالماديات ولا يأخذ بالروحانيات، اقرؤوا السطور بتمعُّن، نحن لا نكتب للتسلية... فأرجوكم لا تستسلموا للنفس

الشريرة، لا تلوموا الشيطان على استحواذكم لأنّه اختياركم، سيأمركم بالكفر، وحينما تضعفون ينقضُّ عليكم، لن تستطيعوا عقابه، سيتلاشى مع شروركم، وقبل كلّ شيء ستتلاشون مع أضغاث انتقامكم.

آخر شيطان في المدينة

الجزء الأوّل: بداية الهلاك

" توقّف قليلاً فالماضي كابوس لا ينتهي كما ظنّنا"

أنا **شيماء** وهذه قصة عائلتي

أتمّ الرضاعة، وضعته في سريره بهدوء مُدندنة ننني ننني يا بشة، ما إن سمعها استسلم، أغلقت الباب وتوجهت إلى المطبخ، آه نار الموقد ملتهبة، أطفأته بسرعة وقلبي يرتجف: هذا آخر ما تبقّى بالمنزل ماذا سيأكل **وليد** حينما يرجع من العمل، تبًا... فتحت الطنجرة، اللوبيا سليمة رائحتها زكية الحمد لله لحقت بها سأتذوقها يم يم لذيذة سيحبها أكيد.

ما هذا الصوت الغريب، إنه كالخشخشة من أين يأتي، أمم ربما مات الفأر، فتحت الدولاب لقد تسمّم يااااا ما هذا إنها عشيرة فئران: واحد اثنان ثلاثة واثنين صغار: هذا بوتميرة يفعل العجب.

نظّفت الدولاب من الفئران الميتة، والبراز النتن، أغلقت عليهم في كيس بلاستيكي أسود سميك حتى يرميهم زوجي حينما يرجع، وضعت السم من جديد لربما ما يزال هناك المزيد، رميت بصري إلى

زاوية الحائط فلمحت ثُقبًا صغيرا، سارعت بجلب الموبايل، ضغطت على زر الضوء ووجهته ناحية الثُقب: الفئران تدخل وتخرج من الثُقب أفواجًا أفواجًا، أغلقت دفتي الدولاب، قلبي يخفق بشدّة، أخذت أتقيّأ فدخل **وليد** مسرعا ما بك حبيبتي، أشرت بإصبعي، لم يفهمني، تمالكت نفسي وأريته المنظر ثم سقطت مغشيًا علي.

حملني إلى الغرفة، استعدت وعيي بعد لحظات، طلب ألاّ أتحرّك إلى حين ينتهي من الأمر، اتّصل بصديقه **أمير**، الذي يعمل في مجال البناء، جاء ومعه الأدوات الضرورية للقضاء على القوارض السامة.

وضعا السم في الثقب، أغلقاه جيداً ثم قاما ببناء الدولاب، نظفا المكان ورميا الأوساخ في مكب النفايات عاد **وليد** إلى البيت منهكًا، سخّنت له الماء، أخذ حمامًا سريعًا واستسلم للنوم، لم يتناول الغداء ولا حتى العشاء.

فتح عينيه، ابننا في حضني، قبّلنا ففتحت عيناي هامسة: سامحني حبيبي أرهقتك...

همس في أذني لم أفعل شيئًا هذا أقل واجب هيا انهضي لصلاة الفجر.

حضَّرت الفطور "مطلوع وحليب بالقهوة"، تناولناه معًا، كنت خجلة من اغمائي وخوفي كالأطفال، انفجر ضاحِكًا لم يتمالك نفسه، كنا فقيرين لا نملك إلاّ غرفة ومطبخ في حيّ "السويقة" بوسط مدينة قسنطينة لم أشتكِ يوما أو ألمه، وهو لم ينسى أن يُذكِّرني بحبّه.

وليد أستاذ في الابتدائي، يُعطي دروساً خصوصية يوم الجمعة مساءً والسبت صباحاً في منزل صديقه **عبد الحميد** بالمدينة الجديدة، يعمل جاهِداً لتوفير المال الضروري، يحلم بكراء بيت محترم فمحاولته للحصول على سكن اجتماعي باءت بالفشل.

تربّى مع جدّه **علي** وجدّته **ربيعة**، اللذان ماتا جرّاء انهيار سقف المنزل في شتاء العام الماضي: 16 فيفري 2018، وبعد يومين من الواقعة جاءني المخاض، فأنجبت طفلنا **سليم** تجادلنا على الاسم فأنا أريد اسم أبي المرحوم وهو يُريد اسم جدّه، قال بنبرة غاضبة: لن أتكلّم معكِ الآن أنتِ "نافسة" وقبرك مفتوح أربعين يوما أكملي أيّامك، من بعدها نتكلّم.

استطاع ترميم السقف، ومن خوفه أغلق الغُرفة، قرِّرنا ألاّ ندخل إليها فالسقف هش، قد يتسبب في موتنا جميعا، اكتفينا بالغرفة المتبقيّة والمطبخ، أما الحمّام فكان مُشتركًا مع الجيران، هكذا هي أغلب البيوت القديمة في قسنطينة.

دخل **وليد** في حالة نفسية صعبة بعد الجنازة، يرى كوابيس كثيرة، يصرخ في الليل: "لن أفعل ذلك أتركوني وشأني، أنا أختنق"، وحينما أسأله عمّا رآه لا يستطيع أن يتذكّر شيئًا، بدأت أشعر بالخوف إذ رأيت جروحاً على رقبته، وكدمات زرقاء على ذراعيه، أصبح كثير العُزلة، يتحدّث في الحمام يُغنّي ويضحك بأعلى صوته، انتبه له جارنا الإمام **توفيق**، فقرّر أن يأخذه إلى الراقي فرفض: "ما دخلك أتحسب نفسك مُتديِّنًا هيا أُغرب عن وجهي، تحفظ سورتين وآية واحدة، كأنّك حافظ لأسرار الكون أجمع"، لم يرّد عليه فهذا ليس **وليد** بل شخصٌ آخر.

انقطع عن الصلاة منذ ولادة ابننا، كما مرّت ثلاثة أشهر لم يقربه أو يُقبّله، استغربت، ظنّنت في الأوّل أنه سيهجرنا أو يُطلّقني، كلّمت أمي وطلبت منها أن يجدوا لوضعنا حلاّ.

سبقني الإمام وفتح موضوع الرقية مع أخي **صابر** الذي وافق مُباشرة، رتّبا موعدًا الجمعة بعد صلاة الظهر في منزلنا، أوصلني أخي إلى بيت أهلي **بالقصبة** حتى أبقى مع أمي، وعند الساعة 14:15 طرق الإمام الباب عدة مرّات لكنه لم يفتح، أعادوا الكرة مرتين فثلاث.

سمعوا همسات غير مفهومة، أخبرهم المُرّقي أنّ جسما غريبا يحوم خلف الباب، أكيد هناك أمر خطير دفع **صابر** الباب بقوة، ولجوا إلى الداخل، الغرفة فارغة والمطبخ كذلك، ثم التفتوا إلى الغُرفة المُغلقة فتحوها فكان المشهد المُروّع: **وليد** مغشيّ عليه، تلفّه أفعى كبيرة من عنقه حتى أخمص قدميه، ثعابين صغيرة تخرج من أُذنيه وأنفه.

بدأ المُرقّي بتلاوة القرآن...

الجزء الثاني: أيّام سوداء

"لا تفقد نفسك وسط الغمام"

سكنت في سيدي الجليس عائلة **باشا** من أصول تركية _كراغلة الجزائر_ بيتهم كالقصر واسع مفروش بأغلى الأثاث، كان **علي باشا** كبير العائلة شيخ ذهب إلى البقاع المقدسة مرّات عديدة مع زوجته **ربيعة** رزقهما الله بولدين أحدهما مات جرّاء حمى قوية حينما كان رضيعًا، أما **نبيل** فأصبح شابًا وسيمًا، أكمل دراسته في اسطنبول، ثُمَّ قرّر العيش هناك.

انقطع عن زيارة أهله من ست سنوات، فألحّت أمه أن ينزل إلى قسنطينة في عطلة الصيف، لتختار له زوجة حسناء تتباهى بها أمام الجيران.

حصل مؤخرا على إجازة في القرآن الكريم حفظا وتلاوة، أتمَّ دراسة الماجستير في أصول الدين بجامعة الزيتونة والدكتوراه في الشريعة والقانون بجامعة الأزهر، قضى سنواته الستة الأخيرة في

حفظ القرآن على يد الشيخ **زيدون أوغلو** بجامع السلطان أحمد _الجامع الأزرق_ في اسطنبول .

أصبح رجلاً ناضِجًا يبلغ من العمر35 سنة، آن الأوان ليبني أسرة، وعليه ستختار أمه امرأة ذات حسب ونسب، في الحقيقة أعجبتها ابنة الشيخ **علاوة سلطاني** الإمام المعروف بجامع سيدي الكتاني، تقول الحاجة **ربيعة**: أنجبت زوجته **فتيحة** طفلة كالملاك عقرت من بعدها، فلا هي ولدت مثلها من جديد ولا أيّة امرأة أخرى في قسنطينة.

خولة متوسطة الجمال، لكن دلال والديها والعز الذي تعيش فيه جعلاها أجمل من البنات الأخريات اللواتي أرهقهن الفقر والحاجة، إضافة إلى تعلّمها بأرقى الجامعات، شهرتُها في المدينة بلغت أوجّها بسبب سفرها الدائم مع والدها إلى تونس، إذ عمل على تدريسها الفقه، حتى تستطيع تعليم نسوة المدينة في المسجد، كانت على قدر من العلم واللباقة في التعامل مع الناس، معلّمة شاطرة أحببنها البنات فجعلن منها قدوة، تصارع العرسان لطلبها فرفضت، تتنظر

عودة **نبيل** على أحرّ من الجمر، بعد أن وعدتها الحاجة **ربيعة** بتزويجهما.

#سنة_1975

عاشت بجوار منزل الحاج **علي** عائلة فقيرة جدًا، تكفّل بها وعمل على ألاّ ينقصها شيء، امرأة ورجل طيبان يُعيلان ولدان وطفلة، كان الأب بُستانِيًا يهتم بورود وأشجار حديقة الحاج، أما زوجته فخيّاطة خاصة بالحاجة.

درس الولدان مثل بقيّة الأطفال في المدارس الحكومية، **فريد** شاب مطيع يبلغ من العمر 23 سنة، تعلّم الفقه على يد الشيخ **علاوة** أما **فريح** -يبلغ 21 سنة- كان عكس اسمه محبط على الدوام يغار من **نبيل** لم يتحمّل معيشة الذل -كما يصفها- فسافر إلى الدوّار(الريف) عند عمه، الذي زوّجه بابنته **صورية** ذات 19 ربيعًا، واستقرّا هناك.

أما الذكية **زهراء** فلم تتخطى عتبة البيت، لم تدرس، كان والدها موسوسا، شديد الخوف عليها، طلب من **فريد** أن يعلمها الكتابة والقراءة في البيت، لم يتجاهل أخوها الأمر، يحبّها كثيرا، يُحفِّظها

القرآن ويساعدها في أشغال البيت، يشتري لها الأقمشة الجميلة لأجل أن تخيطها وتلبسها، تعلّمت فنون التفصيل من أمها فأضحت أشطر منها، تبدو أكبر من سنها، بلغت 17 سنة لكن ملامحها عشرينية، فائقة الجمال يُناديها أبوها بالغزالة: بنتي غزالة قسنطينة الزينة حاجب وعوينة، مهرك غالي وشانك عالي...

#سنة_1988

مرّت السنوات سريعًا، تزوج **فريد** واستقرّ في بيت بجانب جامع الكتّانية، أما **زهراء** فتقدّم رجل ثري من العاصمة لخطبتها فوافق أهلها مباشرة، خاصة أنها قد بلغت الثلاثين ولم يأتها أي رجل ذا شأن كلهم أفقر منها، فرفض والدها أن تتجرّع الذل الذي تجرّعه حينما تزوج أمها وهو لا يملك قوت يومه، كانت مطيعة لم تتفوّه بشيء.

جاءتهم عروس من العاصمة فسمعة أمّها **سعاد** قد بلغت الوسط والشمال والجنوب، عندما سافرت الحاجة **ربيعة** لحضور خطبة حفيدة ابن عم زوجها أُعجبت النسوة بملابسها، كما أُعجبت خالة العروسة **بزهراء** فخطبتها لابنها **البشير** طبيب الأسنان، الذي

اشترط الزواج بامرأة جميلة تسمع الكلمة، على حد قوله: شابة ورزينة ما تعرفش تقول لا، تخدم يما العزيزة.

تزوجته في مدة لم تتجاوز الشهرين، دلّلها في الأسبوع الأوّل، أحسّت أنّ الدنيا ابتسمت لها، لكن بعد مرور ثلاثة أشهر بدأت المشاكل، اعتقلته الشرطة بتهمة تهريب الأدوية، أمرتها أمه أن تصمت ولا تتزحزح من البيت، ليس بيدها حيلة، هي الآن في العاصمة، بالضبط وسط حي **القصبة**، كيف لها أن تتصل بوالديها لا يملكان هاتفًا، كما لم يأتِ أحد لزيارتها مذ تزوجت.

بعد شهرين خرج **البشير** بكفالة، باعوا على إثرها المنزل الفخم من أجل تسديد المبلغ، رحلوا إلى **باب الواد**، لم يتركوا للجيران القُدامى عنوان سكنهم الجديد، شعروا بالعار بعد فقدان ابنهم لعمله إلى الأبد نعم ضاعت مهنة الطب ومعها عقله.

مرّ الأسبوع الأول على خير، تعودوا على المنزل الجديد، ظلّ **البشير** مكتئبًا لا يتحدّث مع أحد، يخرج ليلاً، يثمل حتى الفجر، ثم يرجع للنوم طول النهار، حينها طلبت أمه من **زهراء** العمل كخيّاطة لتساعدهم في المصروف، أخرجت لها ماكينة قديمة، وقالت:

استعمليها لا نملك حلاً غيرها الآن، أنتِ فأل سيِّء جلبتِ لنا النحس، عماني الله فزوّجت ابني بعانس.

لم ترد المسكينة بشيء، تبكِ في صمت لا حول ولا قوة لها، خاصة أنهم انتقلوا إلى بيت جديد فكيف سيعرف أهلها بالأمر، سألت والد زوجها، فقال: لا تقلقِ يا ابنتي سآخذك لزيارتهم حالما يتوّفر المال.

تنفّست الصعداء، نعم يا جماعة أنا **زهراء** المنحوسة وهذه قصتي.

لم أسمع شيئًا عن أهلي، مرض والد زوجي كثيرًا، لم يعد يقوى على العمل، أما **البشير** فتعلّم عادة جديدة يختفي يومين أو ثلاث ثم يرجع من أجل المال، إن لم أوفّره يضربني أو الأصح يجلدني بحزامه الذي يعتلي سرواله، نحف كثيرًا، لولا ذاك الحزام الجلديّ الذي يشدّ خصره لأصبح يتمشّى عاريًا، فقد عقله من كثرة الشُرب، لم يعد يهتم بنظافة ثيابه، كالوحش يأخذ المال وما يشتهيه من جسدي ثم يرحل.

أما أمّه فتعاملني كالعبدة تنظيف، طبخ وخياطة ليلاً نهارًا، مرّ عام كامل على هذا النحو، كنت ألعن حظي اشتقت لأمي وحضن أبي، لم أعد أقوى على التحمّل، أخاف أن أحبل من هذا الوحش حينها

سأنتحر لا أريد أطفالاً منه، قرّرت جمع المال والسفر دون رجعة، سأعود لأهلي محمّلة بالخيبات، لكنِّيَ قد حقّقت سمعة قوية في عالم الخياطة، على إثرها تمكّنت من وضع بعض المال جانبًا دون أن تنتبه عجوزتي (والدة زوجي) الشيطانة...

في أمسية عيد الأضحى سمعت طرقًا خفيفًا على الباب، أسرعت لفتحه لم أصدّق، حضنته بقوة: اشتقتكم أين اختفيتم، بل أنتم يا أختي، لماذا هربتم من منزلكم دون سابق انذار، مذ سنة وأنا أبحث عنك، ذهبت مِرارًا إلى حيّكم القديم، لا أحد يعرف عنوانكم الجديد.

أجهشت بالبكاء، فوقفت عجوزتي: "أهلا **فريد** زارتنا البركة، تفضّل تفضّل"، دخل وعلى وجهه علامات تعجب كثيرة، قصّ عليه والد زوجي الحكاية فانتفض: "ليس من حقّكم حجزها كلّ هذه الفترة، لم تبعثوا لنا بخبر، أو على الأقل لو تركتم عنوانكم عند الجيران القُدامى، آسف يا عمي أحترمك كثيرا، لكنّي سآخذ أختي، لن تروها بعد اليوم، لن أسمح بعيشها مع سِكِّير، أنظر إلى حالها أخذتموها كالقمر، كانت زهرة متفتحة، أمّا الآن فأُبصِر جثّة تتنفس

القهر، ذبلت المسكينة وفوق هذا... ثم صمت هيا هيا حبيبتي سنرحل قبل بزوغ الظلام".

صمت أخي طيلة الطريق، تحاشى الإجابة عن أسئلتي، كنت في حلم، لم تُغادر الابتسامة وجهي، لا أصدّق أنّيَ تحرّرت من ذلك السجن، وصلنا إلى الحي، استقبلتني الحاجة **ربيعة** بالأحضان: آه يا ابنتي مذ تزوجتِ وأمك وحيدة تبكِ فراقك ليل نهار، أين اختفيتِ كل هذا الوقت، لقد حلّت اللعنة على هذا البيت خرجتِ بفستانك الأبيض، ورجعتِ لبيتٍ مهجور سكنه الألم، بردت جُدرانه، آه يا ابنتي رزقكِ الله الصبر إنا لله وإنا إليه راجعون.

دفعتها جانبًا وولجت إلى البيت، أمي أبي أين أنتما لقد عدت، ها أنا ذا لن أترككما، استدرت إلى أخي أين هما نادهما من فضلك، وبدأت ألطم وجهي: آه يا ربي هل أنا في كابوس، أرجوك اجعلني أستيقظ منه حضنني **فريد** رابتًا على ظهري: كفى جميلتي عهدتك قوية، اجلسي قليلاً، سأشرح لك ما حدث، أرجوك سامحينا لقد زوّجناكِ بوحش، أنا المخطئ لم أسأل عنه، حتى أبي رحمه الله غرّه المال والجاه سامحينا جميعًا سامحينا...

صددته، خرجت أركض في الشارع كالمجنونة، يُلاحقني لاهثًا: أرجوك توقفي لا تفعلي هذا، واصلت الركض حتى باب الجبّانة (المقبرة)، وقفت مصدومة أنظر إلى القبور، فدفعني الحارس هيا ارحلي من هنا قريبًا آذان المغرب لا يجوز لك الدخول في وقت متأخر...

ضمّني أخي راجيًا الحارس: "لا بأس يا عم عرفت الآن فقط بموت والدينا، اسمح لها بزيارتهما، أتركها تطفئ نار قلبها من وحشتهما، أتركها يا عم".

أخذني أخي إلى قبريهما، آه احترق قلبي، جفّت دموعي، بماذا سأبكيكما، بماذا سأُعزِّي حالي، آه يا ربي خذني إلى جوارهما لا حياة بعدهما...

فتحت عيناي، نظرت إلي **ياسمين** زوجة أخي قائلة: لا تفزعِ حبيبتي أنت في البيت الآن، حضنتني دون أن تتفوّه بشيء، أحسست بالدفء، فقدت هذا الحنان منذ سنة، ها قد فقدته الآن إلى الأبد، شدّت على يدي هامسة: ابكِ، أصرخِ، اضربيني إذا شئتِ المهم لا تصمتِ، تُقطِّعين قلبي.

ابتسمت ومسحت دموعها، لا بأس عزيزتي سأتجاوز الأمر، لقد تعلّمت درسًا من زواجي: "الحياة كالقفص إن تعلّقنا بها سجنتنا، لا أريد أن أسجن في الحزن من جديد، أنا اليوم سعيدة، صحيح لم أجد من ربياني، لكنّ الله منحني فرصة جديدة لأتنفّس، أتعلمين أنّني أتنفس الآن، طالما استمعت للأوامر دون التفوّه بلا، عايشت طغيان أبي... لا تخرجي، لا تلعبي، لا تتزوّجي بهذا، لا تدرسي، أمّا أمي فكانت مرهقة أكثر مني، تربت على قلبي كل ليلة بعباراتها الحنونة: لا يقصد والدك أذيتك، سامحيه، لا يريد لك حياةً بائسة، نعم كانت طيّبة حدّ السذاجة".

لا أكره أبي، وفي نفس الوقت لم أحزن لموته، أتُصدّقين أتخبّط الآن داخل تناقضٍ كبير، نعم اشتقت إليه أكثر من أمي، لكن حينما عرفت بموتهما بكيت فراقها هي، لو كانت موجودة لأخذتني في حضنها وقالت: لا بأس حبيبتي زال الشقاء، والدك ارتاح في قبره، لن يتألّم ككل ليلة، لن يتقيّأ الدم، لن يشتكِ آلام المعدة لكنها تحت التراب الآن، فماذا سأفعل دونها.

عدّلت جلستي، حسنًا **ياسمين** ماذا حدث؟ كيف فارقا الحياة! صمتت هنيهة ثم قالت: أتعبهما فراقك فأرسلا **فريد** ليبحث عنك، لكن دون جدوى.

في أحد الأيام زارتنا امرأة انتقلت من العاصمة واستقرّت بقسنطينة، جاءت لتخيط لها أمك فستانًا، تحدثنا عن أجواء العاصمة ثم قالت: "خسارة جارتي كالقمر، كنت آمنها على أقمشتي، يدها من ذهب، المسكينة لم تتمتعّ بشبابها يضربها زوجها ليلاً طالبا منها النقود، سكِّيرٌ حقير، سمعنا اشاعات عنه إذ كان طبيبًا غنيًا، ثم تحول إلى رجل بائس، وقفت حينها أمك من مكانها متوسّلة المرأة أن تصفك، ثم أسرعت إلى الدُرج وأخرجت صورتك، نظرت إليها المرأة مُبتسمة، نعم هذه جارتي زهراء".

أجهشت أمك بالبكاء، سجدت لله مرددة الحمد لله الحمد لله، ثم سألتني المرأة عما حصل؟ فأخبرتها أنّنا نبحث عنك من سنة، أعطتنا عنوانكم الجديد، وفي تلك الليلة أوصل **فريد** والديكما إلى المحطة، قرّرا السفر مباشرة لزيارتك، فحدث أمر بشع جدًا، هجم الإرهاب على الحافلة فقتلوا كل ركّابها، بعدها مرض **فريد** جرّاء الصدمة

فطلب من **فريح** أن يسافر إليك، لكنّه رفض خوفًا من أن يُقتل بالطريق فطرده من البيت قائلا: "لا أُريد رؤية جبانٍ مثلك، أنت أناني منذ صغرك، أُغرب عن وجهي، سأُسافر وحدي، خرج مع شروق الشمس، وعاد البارحة وأنتِ برفقته".

عُرفت تلك المرحلة بالعشرية السوداء، كنّا نحاف الخروج باكرًا، من يتأخر مساءً يقع في الخطر، لم ترحم الجماعات الإرهابية الكبير والصغير، قامت بإبادة القرى والمداشر، راح ضحيّتها **فريح** وعائلته، لم يحزن أخي عليه، أوّل مرة أراه بتلك القسوة، أمّا أنا فأزور قبره، أدعو له بالرحمة، لم يكن طيّبًا معنا، لكنه ضحيّة من ضحايا الفقر أولاً، ثم ضحية من ضحايا الإرهاب.

هرب من بيتنا بحثًا عن الحياة، لم يُدرك أنّه هرب إلى الموت، نعم لا أحد سيسلم منه، ننساه ولا ينسانا وفوق هذا يستقبلنا في كفنٍ أبيض، نقيّ لا يشوبه دنس، إنّنا نهرب من السلام نحو ضجيجٍ صارخ يسمى الحياة....

مرّت سنة أخرى، فقدت فيها نصف عائلتي، نجح أخي في تطليقي من ذلك الوحش، سكنت في منزله مع زوجته وطفلهما **عبد**

النور، بيتهما صغير غرفة لهما، والصالون لي، **ياسمين** مُهذّبة لم تعبس في وجهي يومًا، كالملاك قلبها طاهر تحب مساعدة الجميع، فتحت لي بيتها وقبله حضنها.

أحسست بالذنب، سأكون مصدر ازعاج لهما، لذلك قرّرت الرجوع إلى بيتنا القديم، رفض أخي، فتوسّلته أرجوك سأكون بخير، سأرجع لمزاولة الخياطة، سأكسب المال، ثم نفتح بيتًا أوسع، أخذني في حضنه باكيًا، آه يا **زهراء** أنت حنونة كأمي، سأسمح لك بشرط واحد: لن آخذ منك أيّة فلس ستجمعين المال وأنا كذلك، ثم نذهب لتأدية عمرة، كان حلم أبي وأمي، لم يُحقِّقاه سنفعل لأجلهما ما نستطيعه، وافقت دونما تردّد، جهّزت حقيبتي، ورجعت إلى بيتنا الدافئ، ليلتها استسلمت للنوم كالأطفال، لم أنم من سنتين بهذا الهدوء، الحمد لله، دبَّت الحياة في جسدي من جديد.

الجزء الثالث: بعضٌ من الحُب

"لا يعلم أحد متى يطرق الحب باب قلبه، لا نُبالي بالدّقات الخافتة، وحده الضجيج من يُبعثر الملل في تفاصيل أيامنا، عكس الهدوء المباغت يحمل أطنانًا من الفضول الصامِت، بل يُخفي في أعماقه أمواجًا من العشقِ الجارف، نرتشف مع مدِّه وجزره جُرعاتٍ زائدة، ترفع ضغط هُيامنا، تخفض حرارة أجسادِنا المُتلهِّفة للهيب اللّقاء، لنشوة العِناق الروحيّ، إن لم تصدقوا فاسألوا أبطال الروايات، اسألوا شُهداء الحب"

#27_جانفي_1990

ها قد جاء اليوم المنتظر، ستصل طائرته مساءً

اتصل في الصباح الباكر: "ألووو أمي ستقلع طائرتي بعد ثلاث ساعات، عذرا لم أخبرك حتى لا تُجهدي نفسك، رُغم ذلك في بالي

شخشوخة من يديك يا حُرّة الحرايز، هيا سلامًا سأخرج الآن، لا أريد التأخّر عن تقبيل جبينك واستنشاق عطرك يا الحبيبة".

أغلقت الخط وهي تُزغرد، خرج الحاج من الصالون ماذا بك يا لالة؟ ردّت: ابنك في طريقه إلى هنا سيصل مساء، سأسرع إلى المطبخ لا أملك الوقت.

ترفض دخول امرأة أخرى لمطبخها، لكنها اليوم في ورطة، يدها مكسورة وقعت من السّلم عندما حاولت تثبيت الستار.

فكَّرت هنيهة، ثُمَّ خرجت مسرعة، بيتنا على بُعد خطوات قليلة، طرقت الباب بلهفة: أهلا خالتي تفضّلي لا لا يا ابنتي ليس لدي وقت، أُريد أن تساعديني في الطبخ، لا أستطيع عجن الكسرة، يحب **نبيل** "الخسيس" كثيرا وأيضًا القرصة والمقروض، والله يا ابنتي لا أدري كيف سأتصرّف.

ابتسمت: لا بأس خالتي، سأفعل ذلك بسرور.

رنّ الجرس في تمام السادسة والنصف، لا أحد في الحديقة، كنت لوحدي أجمع الثياب المنشورة على الحبل خوفًا من أن يبلّلها المطر، لم

يأتِ أحد، فتوجّهت نحو الباب: من هناك، ردّ صوتٌ مبحوح أنا **نبيل** عدّلت خماري وفتحته، تلبّكنا، تعانقت نظراتنا صُدفة، خجِلت وسارعت خطواتي إلى الداخل، لالة لقد وصل ابنك.

تعالت الزغاريد: كفى يا أمي سيقتحم الجيران البيت...

ردّت: ماذا في ذلك! عاد ابني سأحضنك وأشُمّ عطرك لا دخل لهم، هيا أدخل البرد شديد.

كان جائعًا كالوحش، دهنت له وجهين من القرصة بالعسل كما يحب، مع فنجان قهوة مُرّة، من شدّة جوعه واشتياقه لمذاق الطعام التقليدي أكل خمسة قطع، بعدها أخذ حمامًا ساخنًا واستسلم للنوم.

استيقظ بعد ساعتين مفزوعا، آه لم أُصلّي العشاء، توضّأ أتمّ صلاته وجلس إلى جانب والده، تبادلا أطراف الحديث، فجأة قاطعتهما أمه هيا لقد تأخّر الوقت على وجبة العشاء...

أمـــــي أنا شبعان أكلت القرصة كثيرا حتى تخمت، أعذريني أتعبتك معي سآكل الشخشوخة غدا على الغداء، ربتت على كتفه حسنًا عزيزي...

رجع إلى غرفته تغطّى واستسلم للنوم إلى حين سماعه آذان الفجر...

سأل أمه، يا قرة عيني من الذي فتح الباب عندما وصلت، آه نسيت أن أخبرك هذه جارتنا **زهراء** ابنة البُستانيّ **سمير** رحمه الله واسترسلت في شرح التفاصيل، قبل أن أنسى القرصة طبختها هي ساعدتني كثيرا لأنّ يدي مكسورة.

هي مطلّقة تعمل ليلاً نهارًا على ماكينة الخياطة دونما تذمُّر، كان يستمع بشغف مُسترجِعًا تفاصيل عيْنيها، مُردِّدًا في نفسه: غزالةٌ هي، ليست امرأة عادية، شممت عطرها دونما قصد، يا ربي ماذا يحدث لي.

نعم يا جماعة أصنع عطري بنفسي، أخلط أوراق الورد مع ريش شجرة الليمون، قد تبدو غريبة لكم مثل زوجة أخي التي تساءلت عن السبب فأجبتها: فيهما انتعاش، هما الحياة في بساطتها وعمقها، لست أعلم لكنني أشعر بالراحة حينما أستنشقهما.

#بعد_أسبوع

فتحت الحاجة مع **نبيل** موضوع خطبة **خولة** فرفض، تعصّبت: لماذا يا بني لقد وعدت الفتاة، قلت كلمتي لسنا أطفالاً لنعود أدراجنا عبثًا...

من فضلك أمي دون إصرار تعرفين أنِّيَ عنيد، سأُخرِج فكرة الزواج من رأسي إلى الأبد، ثم لم يحدث شيء رسمي فلا تقهري نفسك، لا تزال في ريعان شبابها سيقصدها أفضل الرجال.

طلب من والده بعد صلاة العشاء أن يتحدثا على انفراد، ولأنّ الجو ماطر مكثا داخل المسجد الى حين توقفه: يا أبي، خجلت من الحديث مع أمي في الموضوع، هي مصرّة على ابنة عمي علاوة، أمّا أنا فأُعجِبت بابنة عمي **سمير** رحمه الله ...

لكنها مطلّقة يا بني...

لا بأس أبي، لا يهمني ماضيها، هل نحرِم المطلّقة من السعادة، أريدها هي، تذوّقت طعامها فوقع قلبي ها ها ها صحيح أقرب الطُرق لقلب الرجل معدته...

تحدّثت مع **فؤاد**، سمعت قصتها فذرفت الدموع، امرأة مناضلة، شريفة، شبيهاتها نادرات في هذا الزمن أتمنى امرأة تقف إلى جانبي في الضيق قبل الرَغد، صحيح ابنة صديقك متعلّمة ومثقفة، وأخلاقها عالية لكنِّيَ استخرت، فتحرّكت بوصلة قلبي ناحية الفقيرة، أنا بحاجة عطفها، الفقراء طيبون جدا يا أبي، ألا تُصدِّق بالحب من أوّل نظرة، طالما سخِرت من هكذا قِصص، أمّا الآن فالعكس تمامًا...

حسنًا، سأخبر والدتك، ونذهب لخطبتها في أقرب وقت، تزوّج فلا أجمل من رفيقة تؤنِس وحدتك...

رجعا الى البيت، ولج **نبيل** الى غرفته، أما الحاج فنقل رغبة ابنه إلى **ربيعة**، قفزت من مكانها: مستحيل على جثتي، كيف أترك ابنة الحسب والنسب، وأقصد ابنة الخادمة، هل أنت في عقلك يا رجل! أنسيت من نكون، ثم ماذا سيقول عنّا الناس! سيشيع كلام غير لائق، سيُشكِّكون في حبه لها، لن أقبل، ربما سحرته في الطعام، الآن تأكّدت لقد طلبت أن تطهو القرصة والكسرة في بيتها، فاستغلت الفُرصة، ابنك مسحور دون شك...

تركها تتحدّث وارتمى في السرير مطلقا العنان لغفوة هنيئة، أمّا هي فلم يغمض لها جفن .

بعد صلاة الفجر، حضنها ابنها رابتًا على كتفها: هل غضبت قُرّة عيني، لا تُفكّري بالسوء، لقد تعلّمت حسن الظن منك، فهل تتناسينه الآن؟ المسكينة لا تعلم شيئًا، قد ترفض الزواج بي، أعجبتني كثيرا واستخرت الله فاطمئنّ قلبي، لا تلوميها فهمُّ الدنيا يكفيها، يا أُمّاه أنا لا أُريد جمالاً زائلاً، بل أبتغِ امرأة بألف رجل، هي أجدر بذلك، أمّا ابنة عمي علاوة فلها الله، سيتولاّها بعطفه، وكما رزقني حُبَّ المطلّقة سيرزقها رجلاً يُحبُّها ويحترمها، الزواج نصيب.

جلست على الأرض ويدها على خدها، ماذا سأقول للناس، والله أنا خجلة.

لا بأس يا حاجة سأتولّى أنا وأبي الأمر، تكلّمي مع **زهراء**، لا تنسي الكلمة الطيّبة صدقة، فلا تكوني أنتِ والدنيا عليها...

تقبّل والد **خولة** الأمر بصدرٍ رحب، أمّا الفتاة فأجهشت بالبكاء، تتخبّط في فراشها كالمجنونة، حضنتها أُمها هامسة: نحن جيِّدون مع

من يحترمنا فقط، لن أسكت على من يسحب بنّا السجاد، أُصمتِ لا تُقطِّعي قلبي بحُزنك، سأنتقم، سأجعل نهارهم ليلاً وليلهم نهارًا، لن يغمض لهم جفن، أعدك.

الجزء الرابع: عودة الشيطان

"أصبح شابًا فأمره الشيطان أن يفتح الباب ويُقدّم والديه كقربان، نعم لقد تحوّل إلى وحش"

احمرّت وجنتاي، قلت لها: أنا مطلّقة، أخاف أن يندم...

لا يا ابنتي لقد عشقك، كلمة ابني كالرصاصة إن خرجت لا تعود.

تمّ الأمر على بركة الله، خطوبة سريعة وزفاف أسرع، همس لها لم أشُم أزكى من عطرك، أين كنتِ كل هذا العمر، أحبُّك زهرتي...

نظرت في عينيه، أمّا أنا فأعشقك مذ كنا صغارًا، راقبتك من النافذة مِرارًا، لم يسمح لي أبي بالخروج مثل بقية البنات في الحي، كان مهووسًا بحمايتي، أتُصدِّق لا زلت أتذكّر قصّات شعرك، معطفك الرمادي لم تتخلّى عنه لأربع سنوات، فاكهتك المفضلة البرتقال، والمقروض طالما صنعته لك، لم تعرف أُمك ذلك اعتقدت أنّ أُمي من تقوم بتحضيره، لم أبح بشيء خوفًا من أن يُقطع لساني، سجنني

أبي، وبعد بلوغي الثلاثين زوّجني، ظنّ أنّه أطلق سراحي، لكنّه أرسلني الى مُعتقل خالٍ من الإنسانية، أنا لم أدرس في المدرسة والجامعة، لكنني قرأت بعضًا من كتبك القديمة، تُرسلها إلي أمّك بدلاً من رميها، كنت أستنشق رائحتك فأبتسم، أحضن الكتاب وأنام على أنغام عطرك.

حبلت **زهراء**، وفي شهرها الرابع بدأت المشاكل، اقتحم الإرهاب المسجد فقُتِل أخوها أمّا **نبيل** فتمّ اتهامه بقيادة الخليّة الإرهابية، أمّا زوجة أخوها فأخذها أهلها.

دخلت شهرها السادس وبدأت تُهلوس، تصحو مفزوعة ليلاً، تُلاحقها أفعى كبيرة سوداء في المنام، تلتف حولها، استمر الوضع على حاله، وفي شهرها الثامن جاءت **فتيحة** لزيارتهم، ربتت على كتف الحاجة قائلة: صحيح انزعجت منكم، لكن اختلف الوضع الآن، أنتم في ورطة كبيرة، فدخول **نبيل** إلى السجن بمثابة فضيحة، ليس بالأمر الهيِّن أبدًا، سمعت النسوة يتحدّثن عن هلوسات **زهراء**، رقَّ قلبي، المسكينة وحيدة ماتت كلّ عائلتها، اهتمُّوا بها جيِّدًا ربما تعبت نفسيتها.

ملأت **فتيحة** رأس أخيها بالأكاذيب باعتباره ذو منصب كبير في الشرطة، أقنعته بأنّ **نبيل** إرهابي يأتي بالأسلحة من تركيا، وعلى هذا الأساس تمّ اعتقاله، ثم ذهبت للمشعوذ وقامت بعمل سحر تفقد **زهراء** على إثره عقلها.

جاءها المخاض، وضعت طفلها على خير، أسمته **وليد**، حاولوا زيارة **نبيل** في السجن دون جدوى، لا خبر عليه مذ تمّ اعتقاله، حاول والده بشتّى الطُرق، لم يُفلح المحامون في الدفاع عنه، أخبرهم القاضي أنّ جريمته بشعة، تُهدِّد أمن الدولة واستقرارها، ثُمّ قطع أملهم قائلا: "لا تعودوا مرّة أُخرى، ابنكم تمّ ترحيله لمكان لا نستطيع معرفته، لقد أخطأ وهذا عقابه".

مرّ شهر، وفي صباح يوم الجُمعة، طرقت الشرطة الباب، فتح الحاج: ماذا هناك، هل من خبر مُفرح همس له **جمال** (أخ فتيحة)، لا يا باشا الأمر أسوأ، هناك أمر من المحكمة يجب أن تُغادروا المنزل قبل انقضاء 48 ساعة، وإلاّ سيتم زجُّكم في السجن جميعًا، أموالكم مشكوك في مصدرها، ستعود جميع أملاككم إلى الدولة، أمّا أنتم فارحلوا إلى منزل آخر يليق بسُمعتكم يا...

صرخ الحاج في وجهه، لماذا تُحاسبوننا على اثمٍ لم نقترفه، إن كان ابني مُذنبًا فسيعاقبه الله، دفعته **ربيعة**: ابني ليس إرهابي، ابني متعلّم ومُتخلِّق اسألوا أهل الحي...

أغلق الجيران أبوابهم، اختفى الجميع فجأة، لا أحد له القدرة على المناقشة في مثل هذه الأوضاع الحرجة من يُدافع عن الإرهاب فهو إرهابي.

مكثوا في منزل **زهراء** البسيط مدّة شهرين، أصبحوا منبوذين، لا أحد يُسلّم عليهم، طردوا الحاج من المسجد، كلّ من يراه مُقبلاً يرميه بأبشع الكلام، لم يستطيعوا التحمّل، فقرّروا المُغادرة، جمعوا حقائبهم ومن حُسن حظِّهم أنّ الحاجة تمتلك مفاتيح بيتٍ قديم في "السويقة"، ورثته عن والدها فغادروا ليلاً بهدوء تام .

مرضت **زهراء**، أصابتها الحمى، لم يفهم الطبيب حالتها، أخبرهم أنّ التحاليل جيِّدة، ربما مرضها نفسي أو مُجرّد ارهاق، اعتنوا بها جيِّدًا ستتحسّن قريبًا، لكن لم يحدُث ذلك، كانت تصرخ طول الليل، وفي تمام الساعة الواحدة ماتت، تركت ابنها يتيما دون أب وأم.

نجحت **فتيحة** في قلب حياتهم، انتقمت بكّل كراهية وحقد، لكنّها لم تحسب حسابًا لدوران الدنيا: أصاب الشيخ علاوة سرطان في الكبد، لم يستطع المُقاومة، تُوفي بعد شهرٍ ونِصف من معرفته بالمرض، أمّا ابنتها فأحسّت بالذنب، طلبت من أُمها التراجع عن شرِّها، أن تقول الحقيقة لأهل الحي، لربما سيتم الإفراج عن **نبيل**، صفعتها بقوة وأمرتها أن تُغلق فمها، استمرّ الوضع على ذلك الحال، رفضت الزواج، إلى أن جاء اليوم الذي رمت نفسها من على **جسر سيدي مسيد**، ماتت تاركة أُمّها كالمجنونة تجوب الشوارع حافية، ها قد فقدت كلّ أحبائها، وفقدت عقلها معهم.

***

واصل الراقي علاج **وليد**، الذي أخذ في استعادة سلامته رويدًا رويدًا، لم يتركه **صابر** لوحده، يبيت معه يوميًا، ولّما أيقن تحسُّنه، أرجع أخته إلى بيتها، قاموا بإغلاق الغُرفة بإحكام، وواصلوا حياتهم بشكل طبيعي.

مرّت سنتان، كانت الأمور جيِّدة، يذهب **وليد** إلى العمل صباحًا، ويعود مساءً مُتعبًا يلاعب طفله قليلاً يتبادل أطراف الحديث مع

زوجته، يتناولون العشاء بمرح، ثم يستسلمون للنوم، لكن حدث أمرٌ مُغاير في تلك الليلة، كان الطفل يبكِ بحُرقة، نقلوه إلى المُستشفى فحرارته مُرتفعة وبطنه منتفخ، كشف عنه الطبيب ثم أخذه إلى غرفة الراديو: صرخ يا إلهي من أين أتى هذا الكائن، في بطنه ثُعبان صغير، أدخله مباشرة إلى غُرفة العمليات، سحبه ميتا، استغرب والداه الأمر، لكن الطبيب حذّرهما قائلا: حافظا على نظافة المنزل، والتفت إلى أمه: قومي بغلي قارورة حليب طفلك والأواني التي يأكل فيها جيدًا، تنتقل الجراثيم الخطيرة عبرها، صِدقًا لم أُعالج حالة مثل هذه من قبل، يا للعجب.

أصبح **سليم** شابًا، دخل الجامعة ليدرس الطب، كان هادئًا مُنعزلاً مذ طفولته، يرفض مشاركة أطفال الحي اللعب، يقرأ الكتب كثيرًا، يتحدّث قليلاً مع أمه وأبيه ثم ينام باكرًا، لم يُلاحظ أحد غرابته، فبعد أن ينام والديه يفتح باب تلك الغُرفة، يجلس في الظلام مُتمتِمًا بكلمات غير مفهومة، فتخرج أفعى كبيرة سوداء تلتف حوله بلُطف يُلاعبها قليلاً ثم تختفي.

يفعل ذلك منذ صغره، استمر الوضع على حاله، وفي إحدى الليالي انكشف الأمر، لم تنم **شيماء** غادر النعاس مضجعها، كانت تتمشى

بخطوات هادئة في الغُرفة، شعرت بالعطش لكنها لم تشأ أن تذهب إلى المطبخ فابنها ينام هناك، وفوق هذا نومه خفيف، فجأة سمعت صوت تمتمة، فتحت الباب ببطء، يا ويلي تلك الغُرفة مفتوحة، أسرعت إلى **وليد** انهض يا رجل، فتح عينيه للمرّة الأخيرة، إذ في تلك اللحظة انقضّت الأفعى على زوجته بعدها هو.

هذا ما حصل، كان البيت مسكونًا بأفعى سوداء شريرة، أو بالأحرى شيطان تلبّس **زهراء** ذات سحر قامت به **فتيحة** المجنونة، انتقل منها إلى طفلها عند ولادته، وبعد أن قام الإمام بعلاج **وليد** بالرقيّة، انتقل السحر إلى الطفل الرضيع، استقرّ في جسده فجعله غريبًا وحيدًا، لا يُكلّم الناس، وحينما بلغ العشر بدأ بتنفيذ أوامر الشيطان، يُمارس طُقوسًا غريبة، يقتل القطط ليلاً، يخرج إلى الشارع بعد أن ينام الجميع ويفعل ذلك لم يُعِر أهل الحي للأمر اهتمامًا، ظنوا أنّه نتيجة مهاجمة الكلاب الضالة للقطط.

غادر **سليم** المنزل إلى مكانٍ مهجور لممارسة السحر والشعوذة...

ليست النهاية

الحصان الملعون

الجزء الأول: أين أنا؟

"حملتني الأيّام إلى المُنتهى"

في مساء صيفٍ ماطر، خرجت أتمشّى، تحجّجت بالخروج لشراء البيتزا، لبست الحجاب، حملت محفظتي السوداء الصغيرة، رششت من عطر أبي، استغربت أمي، أنا لست من النوع الذي يتبرّج أو يضع الروائح...

لم يعد يُعجبني حالك، أنهيتِ دراستك، تعزلين نفسك داخل غُرفتك من الصباح حتى الليل، ترفضين الذين تقدّموا لخطبتك، بحجة عدم قُدرتك على تحمُّل المسؤولية، عمرك 25 سنة، ماذا تنتظرين أنا تزوجت بالسابعة عشر، لم أُفكّر في المسؤولية بل كنت سعيدة، هذا الجيل غريب الأطوار، اللهم لُطفك عام 2018 دخل بدهشته، سأتكلّم مع والدك مساءً، سأزفُّك لأوّل رجل يطرق بابنا، ستدفعينني للجنون.

كانت الساعة الرابعة، لم يمنع المطر الناس من التجوّل، النجدة من هناك: أغمضت **رفيدة** عيناي مازحة ماذا بك يا فتاة مُختفية لا تردّين

على الاتصالات، أتيت لزيارتك فتحجّجت أمُّك بتواجُدك عند خالتك، أنا لا أتزحزح من النافذة ما رأيتك تخرجين، كما لم يزركم أحد هذا الأسبوع، "حالتك ما تعجبش يا بنتي رقي روحك قبل ما تهبلي ها ها ها"، أين تذهبين سأرافقك.

لا، أُريد أن أتمشّى لوحدي أشعر بضيق في صدري، أُتركيني على راحتي، آه إن أحببتِ تعالِ غدًا إلى البيت نتحدّث قليلاً تعلمين أنّك صديقتي الوحيدة فأرجوك تفهّمي حاجتي للُعزلة، حسنًا حبيبتي مُلتقانا غدًا...

قطعت الطريق، متّجهة إلى حديقة "لابريش" تعوّدت المرور عبرها اختصاراً للمسافة، فجأة أظلم المكان وإذا بي داخل سوق كبير يتجوّل فيه الناس بثياب غريبة، ماذا يحدث أين أنا، ورائي عجوز تلبس تنورة طويلة مزركشة بالورود، نظرت إليها بتعجّب، رأسها أصلع، أملس كالكرة يغلب عليه اللون الأزرق والرماديّ والبنفسجي الغامق، تتكئ على عصا سوداء خشنة، تُرافقها طفلة جميلة بل فاتنة شعرها أصفر طويل عيناها واسعتان كالمحيط يجوز الغرق فيهما، ثيابها ممزقة ومتسخة.

تقف العجوز خارج مستطيل يشبه الإسطبل، في حين تُلاعب الطفلة حصانا بُنِيًّا من أجمل ما رأيت في حياتي، عندما لمحني فقد صوابه، قفز من الصور وركض بعيدًا، خفق قلبي بسرعة، شعرت بجسدي يحترق، يتصبّب العرق منه كالشلال، ثمّ لا أدري ما حصل، فتحت عيناي داخل خيمة كبيرة، بها الكثير من الشموع المتوهّجة، تجلس بجانبي الطفلة في حين كانت العجوز واقفة تهرس الأعشاب وتُتمتم بكلمات غير مفهومة.

صرخت الطفلة ستي ستي فاقت الحلوة، اندهشت، تتكلّم باللهجة المشرقية، بلعت لساني من الحيرة، دنت مني العجوز هامسة في أُذني "ما تخافي يا بنتي أنتِ في الحفظ والصون، نحنا الغجر ما نأدي حدا بس اللي يادينا نهرسه مثل العشب اليابس".

رميت الغطاء وأخذت أركض، أين ما أتّجه ألمح العجوز، تُردّد "وين بدك تهربي في الصحراء، تعي لهون بدك تموتي عطش وتنلسعي من العقارب، تعي يا بنتي ما راح ناكلك"، ارتميت على ركبتاي وأجهشت بالبكاء أين أنتِ يا أمي أنا خائفة، رفعت رأسي فإذا بي داخل الخيمة من جديد.

مسحت دُموعي، وبدأت بطرح الأسئلة: من أنتم؟ لماذا أنا هنا؟ كُنت مرتمية على الرمال كيف رجعت إلى هنا بهذه السرعة؟ ثرثرت بلا هوادة حتى تعبت، حينها نطقت العجوز: أنت في صحراء الشام، بالضبط في قبيلة "آل غجر" حطّت رحالها هنا منذ قرنٍ ونصف، أنا اسمي **سعدية** وهذه حفيدتي **زمرد** ما اسمك إذا...

أنا **بسمة** من مدينة قسنطينة شرق الجزائر، خرجت أتمشّى فوجدت نفسي هنا، لا أصدّق ما يجري...

حسنًا يا ابنتي هناك احتمالين لحالتك، إمّا أنّك مسكونة من جني عاشق خطفك إلى هنا أو مسحورة بعمل كبير دُسّ لك في الأكل أو دُفن في القبر، ربما تمّ رميه في بئر مهجور أو وادٍ ناشف لست أعلم، لكن الهدف منه نفيك من وطنك أو قتلك، هذا فعل خطير يُسمّى السحر الأسود.

يا إلهي ماذا أفعل؟ كيف سأرجع إلى البيت، ستجنّ أمي، سيخرج الكلام عني: يُقال ابنة **عمر** هربت، من سيُصدّق أنِّيَ خطفت من الجن، كيف أُصدّقك فأنت غريبة، لحقتِ بي في لمح البصر، ثم أرجعتني إلى الخيمة بطريقة سحرية...

أُصمتِ يا ابنتي أنا لست ساحرة، أمتلك قوى عجيبة منذ صغري، أُبصِر عالم الجن في المنام، أستطيع الحديث معهم، أمتلك خفّة في الانتقال من مكان إلى آخر، أنا الطبيبة هنا، أُعالج المرضى بالأعشاب والجميع يثقون بي، لا تخافي، كما أنّك لا تمتلكين بديلاً آخر غير البقاء هنا إلى حين وجود حل مُناسب نامي الآن والصباح رباح.

استسلمت للنوم، صحوت على رائحة زكيّة، انتفضت كالمجنونة ثم تذكرت ما حصل، أردت دخول الحمام دلّتني العجوز على زاوية جانب الخيمة، ارتحت قليلاً، أعطتني ثياباً نظيفة، فستان أحمر جميل ووشاح أصفر، كانت رائحتي عفنة، غيّرت ملابسي ثُمّ توضّأت، سألتها عن القِبلة سجدت لله باكية بأن ينجيني مما وقعت فيه.

سأُعرّفك على الجميع بعد أن نتناول الفطور، عقدت لك موعدًا...

متى فعلتِ،

آه يا ابنتي واضح أنّك كسولة، يصحو الجميع في هذه القبيلة مع آذان الفجر نبدأ العمل قبل شروق الشمس، ونخلد إلى النوم باكرًا، لا نفترق عن بعضنا، نُعاني من الاضطهاد، ليس لنا هوية، أطفالنا لا يذهبون إلى المدارس، بل يقوم شباب متطوعون بتعليمهم.

لم أتذوق أشهى من البيض المقلي بزيت الزيتون والثوم الذي حضّرته العجوز، مصحوب بقطعة جبن طبيعية، الشاي بمذاق الرمان، يحتفظون بقشور الرمّان اليابسة، يقومون بغليها مع الشاي، على هذا يأخذ اللون الأحمر ومذاقًا مُرًّا نوعا ما.

اجتمع في تمام الساعة 8:00 عدد كبير من الناس أمام خيمتها، خرجت مطأطأة الرأس، كانوا يتهامسون أممم ما أجملها، نعم يا جماعة أنا فتاة بيضاء عيناي واسعتان، كما تقول أختي تُشبهين عارضات الأزياء الحمد لله لستِ نحيلة مثلهن وإلاّ انشطرتِ إلى نصفين.

تقدّمت امرأة نحوي نظرت في عيناي وهمست بأذن العجوز، ثم بدأ النسوة في تقديم الهدايا إلي، يُردِّدن ما شاء الله، لم أفهم ما يجري

لكن راق لي الأمر فابتسمت من قلبي، أبدو كالأميرة، ربما أنا في حلم سأستفيق منه في أي لحظة، فلأستمتع إذًا .

يقف حشد من الرجال في الخلف، يلبسون ثيابًا مصمّمة بطريقة مختلفة مثل التي نراها في أفلام الغجر تقدّم عجوز نحوي: مرحبًا صغيرتي، أنتِ في ضيافتنا لن يمسّك سوء، كما لن يهدأ لنا بال حتى نُعيدك سالمة إلى أهلك...

انصرف الجميع، طلبت مني العجوز المكوث داخل الخيمة مع **زمرد**، لأنها ستخرج لتقطف بعض العشب لمعالجة ابن رئيس القبيلة، بدت **زمرد** أجمل من الليلة الماضية، ثيابها نظيفة، سألتها عن السبب فأجابت أنا أحب الأحصنة كثيرًا، هربت لألعب مع **معاذ**، آه عذرا هو اسم الحصان البني الذي فزع حينما رآك وقعت في الإسطبل فاتّسخت ثيابي وتمزّقت، هذا حالي كلّ يوم تقريبا...

أممم أنتِ مُشاكسة أحببتُك.

سأسألك زمردتي الحلوة، ذاك الحصان عربيّ أصيل؟

نعم نعم معكِ حق، يمتلكه صديقي **تيم**...

آه منك تتكلمين بعفوية، كأنني أعرف الجميع هنا، من **تيم** هذا!

وجّهت بصرها نحو مدخل الخيمة: دخل شاب طويل، عيناه آسرتان كأنهما حدائق خضراء شاسعة، يُشبه أبطال السينما العالميين، خطفت النظرة ثمّ أنزلت عيناي، قُلت في نفسي ماذا تفعلين يا بسمة غضّي بصرك، لا بأس يُقال النظرة الأولى لك والثانية عليك...

ردّت بابتسامة عريضة هذا هو **تيم**...

ألقى السلام، ثم سأل عن جدّتها، فأخبرته: سترجع بعد قليل، مسح على شعرها بحنان حسنا سأعود مساءً أتكلّم معها وآخذك إلى الإسطبل، اشتاقكِ معاذ كثيرًا...

" تيمو" عندي طلب: هل من الممكن أن تذهب معنا بسمة...

التفت نحوي محرِّكًا رأسه بالإيجاب.

عادت العجوز، في حوزتها أنواعًا من العشب، كنت شاردة الذهن، تنزل دموعي من حين إلى حين، قطع حزني آذان الظهر، صلّيت ثم جلست أتناول الغداء، طبخت لنا بطاطا مهروسة رشّت فوقها الزعتر وزيت الزيتون، مع فراخ مشوية.

سألتها: متى حضّرتِ الأكل الطيِّب

ضحكت: تركته يُطهى تحت الرمل

كيف تفعلين ذلك؟

اتبعيني: توجّهنا يمين الخيمة هناك حفرة تحوي طنجرة من الطين، يتركون عن الجانبين مسافة، يضعون فيها الفحم، يُضرمون النار ويُغطونها بالرمل، بعد ساعتين أو ثلاثة تُطهى الطبخة، أحببت الفكرة والطعام والعجوز وزمرد و... عيب رأيته مرّة واحدة، اخرس يا قلبي ليس وقت الغرام الآن.

أخذني النعاس بعد أن أكلت كالمفجوعة على حد قول العجوز، صحوت بعد آذان العصر.

لامتني: ليس من الجيد النوم في هذا الوقت سيثقل رأسك...

معك حق، لكن وقع فوقي "بوتليليس[1]" فعجزت عن النهوض، توضّأت فصلّيت، كنت مشغولة بالتسبيح فسمعت صوته،

[1]- الجاثوم أو شلل النوم

استدرت بلهفة كان هو رحّبَت به العجوز، جلسا يتحدثان لربع ساعة ثم شرب خلطة العشب.

نادتني: تعالِ يا ابنتي سأُعرّفكما على بعض، ابتسمنا معًا، ثم تكلّمنا في ذات الوقت لقد تعرّفنا صباحًا استغربت: أين وكيف، أشرنا إلى زمرد.

آه يا ستي نسيت إخبارك، جاء **تيم** في الصباح فعرفتهما على بعض، كما أنه وعدنا باصطحابنا إلى الإسطبل لنلعب مع معاذ.

ها رتّبتم كل شيء يا عفاريت...

أمسكت يد **زمرد**، يسبقنا **تيم**، وصلنا إلى المكان، فبدأ قلبي بالخفقان من جديد، تجمّدت أطرافي، أحسست برغبة في التقيّؤ، في ذات اللحظة بدأت الخيول بالصهيل، جلست في زاوية الإسطبل أبكِ ماذا يحدث لي لم يفهم **تيم** شيئًا، رفعت رأسي إلى السماء فرأيت سحابًا أسودًا تراكم فوق بعضه أخذ يكبر ويكبر حتى كاد يلتهمني ثم أُغمي علي.

كالعادة فتحت عيناي داخل الخيمة، نظر إلي **تيم** باستغراب ثم طلّق دهشته: ماذا حدث لكِ، لماذا هاجت الخيول عندما رأتكِ...

عدّلت جلستي قائلة: لست أدري لماذا تخاف مني، ويدخل جسدي في حالة صدمة حينما أقترب منها ...

يا للعجب: لماذا حدّقتِ في السماء، ثم أُغمي عليك...

سأُخبرك: رأيت غيومًا سوداء، تراكمت بطريقة عجيبة، فجأة تحوّلت إلى فم كبير كاد يبتلعنِ...

خرج مُسرعاً دون أن يقول شيئًا، حضنتني العجوز: لا تخافي أنا معك، فليحميك الرب يا ابنتي...

سمعت آذان العشاء توضّأت وسجدت لله ربّ العالمين أُناجيه من كل قلبي، فجأة بدأ جسمي بالارتجاف أشياء تتخبّط داخل بطني، لمحت **تيم** واقفًا مع العجوز يُحملقان في الأرض بصمتٍ وحيرة، نزلت قطع من الدّم تلتها قطة صغيرة بيضاء ثم قطتين فثلاث سوداء اللون، نعم ولدت قططًا، لا أستطع التحكم في حركاتي... أمّا هما فابتلعا ألسنتهما.

تلطّخت بالدماء، اختفت القطط فجأة، أسرعت العجوز نحوي، أخذتني بحضنها، يقرأ **تيم** المعوذتين دونما توقُّف، طلبت منه الخروج، لا أريد شفقته.

أغلقت العجوز الخيمة، ساعدتني في خلع ثيابي، نظّفت جسمي وألبستني فستاناً أزرقا، غطّت رأسي بوشاح ورديّ، قبّلت يديها واعتذرت...

لا تعتذري يا ابنتي لن أُفرّط فيك، هيّا نامي...

نظرت من ثقب الخيمة كان هناك خمسة أحصنة تلاعبها **زمرد** ما إن لمحت عيناي هاجت وانطلقت كالريح...

توجهت نحو **تيم** هل أنت راضٍ، حدث ذلك بسببك، هل أنت سعيد برؤيتي أتخبّط كالمجانين، ثم جثوت على ركبتاي أرجوك أُقتلني، أنا ملعونة، ماذا لو تأذى أحد منكم، أرجوكم تخلّصوا مني، أنا عبء ثقيل، ثم أُغمي علي.

صحوت مع آذان الفجر صلّيت، ثم وضعت الشاي على النار كان القمر بأبهى طلّة، فجأة سمعت همس العجوز ابنتي اليوم نشيطة، لا يزال الوقت مُبكِّرًا ارتاحي قليلاً ثم أعدِّ لنا الفطور...

طبخت الطماطم مثلما تحضِّرها أمي، فقصت فوقها البيض مع قليل من الجبن، خمّرتُ الشاي، أمم جاء **تيم** اعتذر فدعوته للإفطار معنا، ابتسمت العجوز بخبث: أحم أحم ها قد توهّجت القلوب.

جلبت الخيول للتأكّد من سبب حالتك، السر في عينيك، لم يحدث أي شيء لها حينما كنتِ داخل الخيمة بل ساءت حالتك أنتِ، وعندما نظرتِ من الثُقب هاجت، لمحت عيناك فتوتّرت، هذا سحر نادر يا **بسمة** آه دقّ قلبي بسرعة لمّا نطق اسمي ...

قرأت عنه البارحة في كتاب يشرح طقوس السحر الأسود، أخطرها تعويذة الحصان، إن لم نجد مكان السحر ستتحول تدريجيًا إلى لعنة، لا تقتل المسحور بل تتسبّب في تحويله إلى خادم للشيطان...

ما الذي تقوله هل سأُلعن !

هناك حلّ: وجدت أحدًا سيرقيك

على فكرة طبخة اليوم لذيذة، ارتشف الشاي بسرعة، يجب أن أذهب سأُدرّس الأطفال الآن...

قاطعته: خذني معك...

بشرط أنتِ المعلمة اليوم...

أكيد هيا بنا، أخذنا **زمرد** معنا، علّمتهم جدول الضرب حسب البرنامج المُقرّر، في طريق العودة سألت تيم: لماذا تُساعد ملعونة مثلي، لست مجبرًا لقد جلبت لكم مصيبة، أفزعتكم ليس إلاّ!

هس يا بنت بكفي لعي علفاضي، سأخطفك ذات يوم فأجعلك أُمًّا لأطفالي...

آه وصلنا إلى الخيمة، استأذن هو، أمّا أنا فجلست أحسب دَّقات قلبي...

سألت العجوز: لماذا يشرب **تيم** خلطة العشب كل مساء...

ردّت: لسعته عقرب، استطعت اخراج السم لكن كبده تعب، أفادته الخلطة وبدأ بالتحسن.

جاء **تيم** بعد صلاة الظهر مع شيخ يبدو عليه التواضع والطيبة، طلب أن أتوضّأ وأعقد النيّة للشفاء، بدأ بقراءة آيات الرقية الشرعية، لم أحس بشيء في الأول، بعد مدّة آلمتني عيناي أحسست بهما تحترقان اشتدّت حرارتهما ثم انفجرتا بالدم، أخذ الراقي الماء وبدأ برشه فوقهما ذاكرا الله، لم أستطع التحمّل توسلت إليه أن يتوقّف.

همس في أذن **تيم،** ثم غادر الخيمة، توّقف الدم، فتحت عيناي على وسعهما: بماذا همس العجوز اللعين، نهضت من مكاني وبدأت بالغناء والرقص، نزعت الوشاح من فوق رأسي، رفعت الفستان كاشفة عن ساقاي، ثم دنوت من **تيم** أنت وسيم تعال راقصني، أحبّك يا جبان لماذا تخجل كالفتيات، تبا هل أنت رجل، هيا أغرب عن وجهي أشك في شذوذك يا عديم المشاعر.

أخذتني العجوز إلى الفراش، ارتشفت شرابًا مُرًّا واستسلمت للنوم...

رفض في الصباح أن أرافقه لتعليم الأطفال، أخذ **زمرد** فقط، انزعجت كثيرا لماذا يُعاملني هكذا، شدّت العجوز على يدي: آه يا

ابنتي خرجتِ البارحة من وعيك، أحرجته بأفعالٍ غريبة، سردت التفاصيل، خجلت كثيرا، رجوتها أن تفعل شيئًا...

ردّت: ستعود المياه إلى مجاريها، لستِ الفاعلة بل شيء ما تلبّسك في تلك اللحظة وتكلّم بلسانك، هو محرج منّي أما أنتِ فبلا ذاكرة مغلوب عليك.

وصلت ساعة الرقية كنت هادئة، طمأننا العجوز: بدأتِ بالتحسن حافظي على صلاتك وأذكارك، لا تنامي بعد العصر، أوصله **تيم** لمخرج الخيمة ورجع إلي أعطاني ورقة ثم رحل، فتحتها فكان البرهان المُنتظر: "أحبُّك."

استيقظت في تمام الساعة الثانية بعد منتصف الليل، جذبتني قوة من فراشي، كنت أزحف كالأفعى نحو الإسطبل، لم تستطع العجوز إيقافي، بدأ جسمي يرتفع، الأحصنة معلّقة في السطح، ذهبت زمرد إلى تيم فجاء مفزوعًا يحمل بندقيته: وقف الجميع مشدوهين ليس بيدهم حيلة.

الجزء الثاني: الحب لا ينسى أحدًا

"ليس للحُّب قوانين، يقتحم صمتك بصخب، لا تُحاول الهرب، ستقع فريسة له في أول خطوة، هو أذكى من العشَّاق القُدامى، له مصيدة في كلّ زاوية، حينما يضجر يُغادر مُخلِّفًا الكدمات والكثير من الفِخاخ المخفيّة تحت عباءة النسيان، نعم هو صديق حميم للذاكرة، فالتمسه، اغتنمه، اعتنقه، فرحيله كالموت لا ندري حقيقته، الحب من أمور الغيب الأُخرى سرّها عند الله، لا نملك تعريفًا لها، فقط نربطها بالقضاء والقدر"

تحصّل **تيم** على وظيفة بكلية الآداب بجامعة منتوري قسنطينة، شاب وسيم يبلغ من العمر 31 سنة، هرب مع أهله من سوريا إلى تركيا أواخر سنة 2015، أكمل دراساته العليا هناك، ومع نهاية سنة 2017 قرّر والده الانتقال إلى الجزائر، فتح محلاً لبيع الأقمشة يديره ابنه الأكبر **جواد**، بعد أن نصحه صديقه الذي عاش في الجزائر مدة أربعين سنة: تعال يا صديقي، أكمل حياتك وسط شعبٍ طيّب،

استثمر ها هنا، نجح مشروعي الأوّل في العاصمة، لذا قرّرت توسيعه ليشمل شرق الجزائر وبالضبط مدينة الجسور المعلّقة.

بدأ **تيم** أول حصصه التطبيقية، عرّف الطلبة بنفسه وحينما أخبرهم بأنّه سوري وقفوا جميعا لتحيته، أسعده ذلك كثيرا، مضت الحصّة على خير ما يرام، فجأة رفعت يدي، هل من الممكن أن أطرح سؤالا خارج سياق التخصص...

ردّ: إن كان مهما جدا...

أتمنى أن تجيب دونما انزعاج: لماذا تركتم وطنكم؟ إذا كان الرئيس دكتاتوريا هل من المنطق أن يكون الشعب جبانًا؟ أنا لا أفهم شيئًا فهناك من يُدافعون عنه ويُطالبون ببقائه في السلطة، نحن من نصنع الطاغية، نُربِّيه حتى يُصبح عملاقًا ثم نطالب بشنقه، لن أُحلّل الوضع، بل سأتساءل ما حال وطنكم الآن؟ أظنّه يبكِ فراقكم، هذا لا يعني أنّ الهاربين جُبناء، أعتذر على تسِّرعي في إطلاق الحكم، هناك حقيقة أكبر من الخوف تجعلنا نهجر أوطاننا تحجُّجًا بالموت، الذي لا ينتظر الحرب أو السلم، لا يشفع للكبير أو الصغير، بل يأخذ فقط حينما تدُّق ساعة النهاية.

ابتسم: أنتِ فضولية، نحن لم نهرب من الموت، بل فتحنا أبوابًا أُخرى للحياة، الوطن مجرّد تمويه، أنا لا أسجن نفسي ضمن حدود معينة وأقول هنا تقبع هويتي، أنا إنسان حر خُلِقت لأكتشف، لا لأندب حظِّي وكما قال الأرقش: "الوطن ليس أكثر من عادة والناس عبيد عاداتهم".

آه آسف انتهت الحصة، إن أردتِ نُكمل النقاش في الأسبوع القادم، أُكرّر الشكر على جميل ترحيبكم دُمتم شعبًا مضيافًا ثم التفت إلي: وذكيًا أيضًا.

مرت 6 أسابيع على ذات الحال، مع اقتراب نهاية الحصة أفتح نقاشا سياسيا، لم يتجاوب معي كثيرا في البداية، ليتغيّر الحال بعد أن سكنت في ذاكرته.

فقد **تيم** أمّه ذات شتاءٍ دمويّ، هكذا وصفه، عندما صادفته داخل مكتبة الجامعة، نظر للكتاب الذي أحمله "الربيع العربي: أية حقيقة"...

أممم أراك تتصفّحين الكتب السياسية بدل الأدبية، نجحتِ في إثارة فضولي يا ذكيّة، هل أستطيع الجلوس...

احمرّت وجنتاي، أكيد تفضّل...

ابتسم متمتِمًا: فاتنة أثناء خجلها فاللهم ارحم هذا القلب، أجره من العشق.

قاطعته: هل تقول شيئًا...

ردّبصوتٍ خافت: غلبتك، نحن داخل المكتبة يجب أن تتعلّمي التمتمة ولغة الإشارة...

ضحكت حدَّ انكشاف ضرس العقل: هزمتك مرة أخرى، هل تستطيع الضحك دون اصدار صوت مثل ما فعلت أنا ...

ضحك بصوت مرتفع: فأقبلت عاملة المكتبة منزعجة، من فضلكما غادرا قبل أن ينفذ صبري، غضضت الطرف عن حديثكما، لكن الضحك عنوة لا أسمح به، حاولا في المرّة القادمة قراءة اللافتة التي على الباب تحوي جميع القوانين، هذا مكان للمطالعة وليس لتبادل القهقهات.

خرجنا من المكتبة فاستدارت هاربة، دخلت إلى Bloc des lettres نظرت عبر زجاج الباب يمينا ويسارا آه يا ربي لو انشقّت الأرض لدخلت فيها، ثم صفعت خدّي ماذا فعلتِ يا بنت، غادرتِ دونما استئذان من أُستاذك... حسنًا أخطأ فعاقبته.

أحم أحم، تجمّدت في مكاني، أعرف هذه البحّة، أدرت رأسي فتسارعت دقّات قلبي...

قطع الصمت: أعتذر، لقد تعنّيت الضحك حتى يتم طردنا، فأفوز بموعدٍ معك، أرجوك اقبلي تناول الغداء معي، أريد مُحادثتكِ حول أمور مهمة، بعدها عاقبيني كيفما شئتِ.. .

حرّكت رأسي بالإيجاب، دخلنا إلى كافتيريا صغيرة موجودة داخلBloc، الساعة 10:45 قد يبدو الوقت باكرا، لكن بعد ربع ساعة تتحوّل الكافتيريا إلى عُلبة سردين فـــــ لا تجد موطئًا لقدمك...

جلسنا على طاولة بجوار النافذة، طيّب ماذا تأكلين...

محال، لا أريد، لا أستطيع فتح فمي أمامك ومضغ الطعام عيب...

ابتسم وأحضر عصيرًا فقط...

طالبتي النجيبة، أعطني فكرة عن الكتاب الذي كان بين يديك مذ قليل...

تنهّدت: لم يُسعفني الحظ لأقرأ ولو جملة واحدة، لقد جذبني عنوانه فاخترته...

حسنًا، أنا ضد ما عُرف بالربيع العربي، تناقشنا في ذلك الحصة الماضية، فخرجنا بنتيجة الشتاء الدموي الشعب هو الضحية، صحيح تمّ قتل بعض الحكام ومُحاكمة آخرين، لكن ذلك لا يعني سقوط النظام، أنا مُستغرب من تناقضك، ساندتِ موقفي حينذاك، ومذ قليل فتحتِ كتابا ذا عنوانٍ تفاؤليّ زيادة عن اللزوم...

قاطعته: موقفي ثابت، لكن لا ضِرار من قراءة مواقف أخرى، ربما أجد شيئًا بين السطور يُغيِّر رأيي صدّقني أستاذي يجب على الإنسان أن يكون مستمعًا جيّدًا وقبل كل شيء قارئًا نهِمًا، يلتهم السطور، بعد ذلك يهضم الجيد منها و ....

وماذا؟...

طأطأت رأسي: لا شيء لا شيء...

لا تخجلي أرجوك، معك حق نهضم المفيد ونتقيّأ المضر ها ها ها

بادلته الضحكات، فذاك ما أردت قوله.

دمعت عيناه، فاندهشت، ماذا بك أستاذ هل أنا السبب!

ابتسم بشحُوب: لا مستحيل، أتصدِّقين بأنّك أجمل ما حدث لي مذ سنوات، سأبوح: في ليلة رأس سنة 2015، كان أبي نائما وأخي يُشاهد التلفاز، أمّا أنا فأتبادل أطراف الحديث مع أمي في المطبخ، اشتهيت مهلبية من يديها فحدث أن أخّرت ساعة نومها وحضّرتها، فتحت قلبها على غير عادتها قائلة: إيّاك أن تتخلّى عن والدك مهما حدث، لقد نشأ داخل ميتم، رغم ذلك هو بمثابة الوطن لنا جميعا، أمّا أخوك فطائش قليلاً لكنه حنون يكبرك بخمس سنوات وتكبره بمائة سنة من رجاحة العقل، هيا حبيبي اذهب للنوم واعلم أنِّي أحبكم كثيراً، ولجت غُرفتي، فجأة سمعنا انفجارًا، إنّه القصف، انهار المطبخ وغرفة الجلوس فقدنا أمي للأبد أخرجناها جثة مُقسّمة الى قطع من تحت الأنقاض، أما أخي فكُسرت رجلاه وأنفه.

لم يتمالك أبي نفسه، ندب حظّه كنسوان الجنائز اللواتي يلطمن مقابل مبلغ من المال، عانقته رابِتًا على كتفه، بات كالطفل الذي فطمته أمُّه، تجمّد جسده كقطعة جليد، هزمه برد الفراق، فقد معطفه إلى الأبد، ما من مدفأة ستقيه صقيع الشوق، أما أنا فلبِست ثوب الصمت، كنت أركض إلى المستشفى لأطمئن على أخي ثم أرجع إلى بيت خالي للاطمئنان على أبي، هكذا حتى مرّت الشتاء، وبحلول الربيع قرّر أبي مُغادرة "محافظة الرقة" إلى تركيا: يا ولداي اللجوء هو الحل لعلّ فيه علاجا لجروحاتنا، أمكما وطني الذي فقدته ها هنا، سنرحل فلا مأوى بعده إلاّ الغُربة.

سافرنا، أكملت ماجستير أدب إنجليزي، ثم عاد أبي ليقرِّر الرحيل، إذ نصحه صديقه بالاستقرار في الجزائر بلد الأمان والاستثمار فيها مربح، وقبل كل شيء شعبها طيب، عشرته حلوة، يساعدون المحتاج يربتون على كتف الحزين، يسألون عن الغائب، إنّهم كما قال عنهم الراحل ياسر عرفات -رحمه الله-: "لو ضاقت بكم الدنيا ولم تجدو مفرًا فعليكم بالجزائر فإنّ بها رجال"، وتأكّدت أنّ بها نساءً شامخاتٍ أيضًا.

رفع رأسه، كنت أشهق بُكاءً، فتّش في جيوبه ليس لديه منديل، مسحت دموعي بطرف الخمار، وقلت: رزقك الله الصبر، أعذرني لكنِّيَ لا أحفظ أية عبارات تُناسب هكذا مواقف...

ابتسم مُحدِّقًا في عيناي لا بأس دموعك خير سند، أنت كالضِماد لكدمات قلبي، ارتحت حقًا، أتعلمين سِرًّا؟

لا إن أردت أخبرنيه

أحبك أحبك أحبك

في تلك اللحظة، قاطعتنا **رفيدة** بابتسامة خبيثة، مرحبًا أستاذ: آسفة على تطفُّلي، لقد انشغل بالي على **بسمة** بحثت عنها في المكتبة فلم أجدها، اتصلت بها فلم ترد، ثم اتصلت بأمها فلم أجدها بالبيت.

نهضت، كان جسمي يرتجف، أستأذن منك أستاذ، خرجت مُسرعة، لحقتني رافعة حاجبها: منذ متى تختفين ولا تردّين على اتصالاتي، ومنذ متى تخرجين في مواعيد مع الجنس الآخر، هل

تُخفين سِرًّا ما أكيد أكيد رأيت نظراته، معجب بك، ها أنتِ ذا ترتجفين هل صارحك بحبِّه، هيا قولي هيا...

نعم لقد اعترف، آه يا صديقتي قلبي يخفق بجنون، أنا أيضا أحبه، لكنني لا أمتلك ذات جرأته.

بدا على **رفيدة** الانزعاج، صامتة طوال الطريق، آخذ منها الكلام غصبًا، أعرفها جيدًا سترفض محادثتي لأيام عقابًا.

وصلنا إلى الحي فحضنتها: آسفة حبيبتي، حدث الأمر فجأة، هذا أول موعد، خجلت فلم أستطيع رفضه.

ابتسمت: لا بأس أعرف أنّك ساذجة، إيّاك أن تُفلتيه، الرجل وسيم وذا مستقبل زاهر، فوق هذا والده غني، لقد استفسرت عنه.

قاطعتها: عيب لماذا فعلتِ ذلك، ثم ليس لديه أصدقاء وأقارب فمن أين لك بالمعلومات، تعرفين جيدا لا أحب هذه التصرّفات، حقا أنا منزعجة...

رفيدة وحيدة أمها المطلّقة، شديدة الغيرة من كل البنات، أنانية تحب امتلاك الأشياء الجميلة لها فقط، تغار مني مذ طفولتنا، ليس

لأنّي ناجحة، بالعكس دائما ما احتلّت هي المرتبة الأولى، تحسدني على حب الجيران لي، أنا هادئة وخجولة، عكسها هي جميلة جدا ومغرورة.

جلست **رفيدة** على سريرها، فتحت اللابتوب، ولجت إلى الفيس بوك: مساء النور حبيبي، اشتقت إليك كثيرا أممم أحمل الكثير من الأخبار، عندما تقرأ رسالتي اتصل بي ...

لم تمر دقيقة حتى اتصل بها **جواد**، جميلتي كنت بانتظارك، ملل فضيع، ثم تعبت طيلة اليوم واقف أعمل كالحمار.

استفق من سُباتك، أخوك يُواعد البنات، يعدهنّ بالزواج، وأنت كالعبيد تجني المال فيأخذه ليُبذِّره هنا وهناك، ثم لن أكلّمك بعد اليوم، انتبهت أمي فعاتبتني قائلة: يجب أن يخطبك عاجلاً وإن رفض أُتركيه، لا نريد مشاكل، تعرف هي مطلّقة تخاف على سمعتنا، لقد عانت المسكينة من كلام الناس.

حسنا جميلتي سأخطبك قريبًا لن أُفرِّط بك، سأُحدِّث أبي مساءً عن الأمر.

تفاجأت حينما اتصلت تدعوني لحضور خطبتها، أخفت الأمر لأسابيع، جهَّزت أمورها في الخفاء الحلويات، القفطان الذي ستلبسه، والأهم علاقتها بأخ تيم الوحيد.

تمّت الخطوبة في عطلة الربيع، النسوة انبهرن بجمالها، ألبسها والد خطيبها الخاتم، أخذ معها صورة ثم غادر...

انقلب وجهها، غضبها واضح، همست لها، ماذا بك اتَّزني قليلا، عيب ستتزوجين قريبا فطلِّقي هذه التصرفات...

غادر الجميع فانفجرت: ماذا يظن نفسه، في أي قرن نحن حتى يُلبسني الخاتم، تبًا تخلُّف ورجعيّة، هل سأتزوّجه هو أم ابنه، صفعتها أمها فأخرستها، أمَّا أنا فاستأذنت...

فتحت أمي الباب بوجهٍ عابس: صديقاتك يتزوّجن واحدة تلو الأخرى، إلاّ أنت غبيّة ابتلاني الله بك، هيا اذهبي إلى المطبخ حضِّري لُقمة لربما تفيدين بشيء .

نفّذت الأوامر بصمت، ثم حضنتها طابعة قُبلة على جبينها، لا تحزني أمي سأتزوّج قريبا عندي خبر جميل، انتفضت هي وأختي **لميس،** أقلّ مني بسنتين لكنها مخطوبة تُجهّز لزفافها.

أخبرتُهما عن **تيم** وما حدث مع **رفيدة،** صُدمت أمي: قلت لك يا ابنتي صديقتك التي تدافعين عنها دائما شيطانة، يتساقط الشر من عينيها لا أرتاح لها أبدا، ها قد استحوذت على الرجل دون أن يرفّ له جفن خبيثة تحسدك منذ صغركما، احذري منها قد تفسد عليك الأمر، فليتقدم لخطبتك قبل أن تفتعل مشكلة ما...

لن تستطيع، تحدَّثت مع تيم سيتَّصل بأبي هذه الأيام.

انتهت العطلة، لم يتصل، بعثت له برسائل كثيرة دون جدوى، سألت **رفيدة** فأجابت: سافر إلى تركيا سيعود في عطلة الصيف لحضور زفافنا، عُذرًا لم أنوي احزانك، ظننت أنّكما انفصلتما لذا سكت عن الأمر، لولا ذلك لماذا سافر دون علمك، أكيد فعلتِ شيئًا فغباؤك واضح.

لم أفهم شيئا، دخلت في دوامة، أصرّت أمي على اتهام **رفيدة**، أما أنا فحذفت رقمه وكل طرق التواصل معه.

أنهينا الدراسة، تخرّجنا بتقدير جيد جدا، **رفيدة** مشغولة بزفافها، أما أنا فمنعزلة في غرفتي أرفض الزواج خاصة بعد أن تقدّم أحد أقاربي لخطبتي، وحينما رآني غادر دونما رجعة، لا أدري السبب لقد تجمّلت ارضاءً لأمي، كما اشتهيت الزواج انتقامًا، وبعد هذه الواقعة انصدمت ورفضت كل من يطرق بابنا.

مرّ رمضان وجاء العيد، اتّصلت **رفيدة** تدعوني لزيارتها في ثاني أيّامه، لم أستطع رفض طلبها، كان خالها وزوجته هناك، فجأة دقّ الباب: دخل **جواد** ووالده، معهما **تيم**، تجمّدت في مكاني، جاؤوا لمعايدتها ألبسها خطيبها قلادة جميلة وطبع قبلة على جبينها، أمّا **تيم** فصامت، يرتشف القهوة بهدوء، لم ينظر نحوي أبدا، لم أستطع تمالك نفسي، بدأت دموعي بالانهمار، مسحتها براحة يدي، ثم استأذنت، رجعت إلى البيت بخيبة كبيرة، قرّرت على إثرها المكوث بغرفتي حتى الممات، أبكِ ليلاً نهارًا، وحيدة مع أفكاري الصاخبة، أقرأ الكتب، أُشاهد التلفاز، أُنظّف وأطبخ وفقط.

مرّت الأيام ببطء، وفي ذلك اليوم المشؤوم قرَّرت الخروج لأتمشّى فحدث ما حدث.

الجزء الثالث: وحيدة

"اغتصبني الشر، فأجهضتني الحياة"

#قبل_العطلة_بأسبوع

ذهبت **رفيدة** إلى الساحر، طلب منها أن تأتيه بصورتي وصورة **تيم**، من شدّة غيرتها أقدمت على معصية كبيرة، كان هدفها ألاّ نرتبط، أفرغت غُلّها وحسدها في أمورٍ مُحرّمة، تلك التي ظننتها أُختًا وصديقة مُقرّبة أُفشي لها أسراري، ألجأ إليها في حُزني لأُفضفض، نفضت اللحظات الجميلة واعتنقت الشر، أخذت به كسلاح لقتل رفيقة طفولتها وصباها.

كان الهدف في البداية تفريقنا، يذهب هو في طريق وأنا في طريق، لكنّ الدّجال اقترح عليها عملاً أسودًا يقومون به عند خسوف القمر لا يستطيع أحد ابطاله لأنّ درجة اتقانه لا توحي بأنّ الشخص مسحور سيبدو عليه المرض الشديد فينتهي به الأمر ميتًا أو غريب أطوار يستحوذ عليه الشيطان.

#27_جويلية_2018

خرجت في ذلك المساء، فلحقت بي، لم أنتبه أنّها حينما حضنتني همست بكلمات ومسحت على ظهري بترابٍ أسود، كانت تعلم بما سيحدث: أفقد الوعي، أدخل في غيبوبة لشهور، بعدها أموت سيبدو الأمر كمرضٍ نادر يعجز الأطباء عن مُعالجته.

ما قصصته في البداية كابوس، كنت حينها نائمة في المستشفى أُصارع السحر، رؤية **تيم** في المنام بمثابة طوق نجاة، كان يأتي لزيارتي فتسبّه أمي مُردِّدة: ارحل يا لعُوب، أشباه الرجال مثلك يستحقُّون الموت آذيت ابنتي برحيلك، لم تتحمّل فانهارت.

لم تسمح له أمي بمحادثتها، أمّأ أبي فهدّد بقتله إن رآه مرّة أخرى، كان مُحتارًا، فالسحر الأوّل تمّ ابطاله تحسّن بعدما خضع لجلسات الرقية الشرعيّة، لاحظ صديقه انطوائه الدائم فتصرّف قبل أن يفقده، فشفاه الله ورجع إلى وعيه، سافر إلى الجزائر مرّة أخرى، لكنّه لم يتمكّن من التواصل معي، يقف يوميًا مُقابلاً لبيتنا منتظرا خروجي ليتكلّم معي.

في ذلك المساء لحق بي ليُحادثني، فسبقته **رفيدة** بفعلها القبيح، كان هو من حملني إلى المستشفى عندما سقطت على الأرض، من يومها

سكنه الشّك، بدأ في ملاحقتها أينما تذهب، خرجت في الأيّام الأولى مع أخيه، ومرّات مع أُمّها إلى محلاّت الأقمشة، استغفر الله، أحسّ بالذنب فنحن كالأختيْن كيف لها أن تتسبّب في أذيتي.

أخبره الإمام أنّ امرأة سحرته، من أجل أن تُنفره من الزواج والتفكير بالارتباط، على هذا الأساس تخلّى عني بلا سبب، وحينما رجع إلى وعيه سارع ليطلب الصفح، جاء متأخِّرًا فالشر وقع على رأسي فباتت النهاية وشيكة.

أتتذكَّرون حينما حدّثتكم عن هلع الأحصنة، نعم يا جماعة وُضع السحر في حَدوة الحصان، يتسبّب ذلك في خوف المسحورة من كافة الرجال الذين يتقدمون لخطبتها، حتى الرجال يهربون منها يُبصرون شرًا في عينيها، تبدو لهم بشعة أو مجنونة، هذا ما يُفسِّر رؤيتي للأحصنة التي حينما تلمحني يجن جنونها فتركض بسرعة الريح.

تيم منقذي، رأيته في المنام مريضًا، كان مُتعبًا من الهم، تلك العجوز هي الشر، منافقة أعطته أعشابًا سامة تقتله ببطء، أمّا أنا فحجزتني في خيمتها كأسيرة، رُغم ذلك وثقت بالله، أمّا **زمرد** الجميلة فهي الأمل الصغير الذي تمسّكت به، لقد أخذني السحر إلى

عالم آخر، رأيت فيه ما حدث لكنِّي لم أستوعب، نعم أنقذني حُبُّه من الهلاك، كان مُخلِصًا أخرجه الله من محنته ووضع في طريقه إشارات تُمكِّنه من معرفة حقيقة ما حلّ بي.

#10_أوت_2018

توجّهت **رفيدة** إلى محل لكراء فساتين الأعراس، فتتبّعها **تيم** خلسة، شارف يوم فرحها الموافق ل 20 أوت مكثت مدّة تتشاور مع البائع، ثُمَّ خرجت، راقبها من بعيد، سلكت طريقًا آخر، أين تُراها تذهب! واصل تتبُّعها، ولجت إلى بيت في حيّ القصبة، مُكتظ بالنساء، سأل رجلاً يقف بجوار الباب، ماذا يحدث هنا يا عم، فردّ اذهب ما شأنك هذا منزل الخيّاطة **كهينة** أنا زوجها فما دخلك أنت بالموضوع.

غادرت مسرعا قبل خروج **رفيدة**، لم أقتنع بحديثه، كان مُتوتِّرًا، هناك أمر آخر، ثُمّ ستصبح بعد عشرة أيام فردًا من العائلة، من الواجب اكتشاف ما تُخفيه، أخي أبله غرّه جمالها، لا أتحمّلها نفر قلبي منها حينما زُرناهم في العيد، كانت جريئة جدا، تتدخّل في أمور لا تعنيها، تحشر أنفها بين أخي وأبي، تسبّبت في جدالهما مرّات عديدة

بسبب طلباتها المُستمرة: أُريد ذهبًا أكثر، بيتًا واسِعًا، شهر عسل في تركيا ووووو...

تواصلت مع **لميس** عبر الفيس بوك، رجوتها أن تسمح لي بشرح موقفي، أخبرتها بكل ما حدث مُشيرًا إلى دخول **رفيدة** لذلك البيت...

ردّت بحسرة آه يا تيم أحبّتك **بسمة** كثيرًا، أتعلم ماذا قالت حينما رحلت دون أن تودّعها: تيم لطيف جدًا يُقدِّس الحب، لا أُصدِّق أنّه غادر دون سبب، ربّما جرحته بكلمة أو تصرّف طائش.

أنا أُصدِّقك، لا تعجبني **رفيدة،** طالما حذّرت أختي منها، لكنها ساذجة ترفض الاستماع، سأزور تلك الخيّاطة لربما أمسك بطرف خيط، أمّا الآن سأذهب إلى المستشفى للاطمئنان على أختي، لا تقلق سأُخبرك بحالها فور عودتي.

ذهبت **لميس** إلى منزل الخياطة: الغُرفة مُزدحمة، نظرت إليها امرأة شقراء يُغطِّي المكياج ملامحها، ماذا تفعلين هنا...

سأخيط هذا القماش عُرسي قريب، فانفجرت ضاحكة، ماذا يا كتكوتة هل أنتِ بلهاء، هيا أخبريني من ستصطادين، انزعجت منها، غيّرت مقعدي، سمعت امرأتان تتهامسان: ساحر جيد، يُصيب الهدف من أول عمل، ردّت عليها الأخرى نعم، أقنعتني جارتي التي تزوجت شابًا يصغرها ب11 سنة، طلّق زوجته الجميلة بسببها، أمّا أنا فأريد امتصاص مال زوجي، سذاجته أرهقتني، تستنزفه عائلته دون تقدير لوجودي تعبت سأنتقم منهم جميعًا.

لم تتمالك **لميس** نفسها خرجت مسرعة فأوقعت القماش، نادتها الشقراء: يا كتكوتة ارجعي لقد أسقطتِ أغراضك... غبيّة قماشها حريري من النوع الممتاز سأحتفظ به، واستمرت في مضغ العلكة، أما الأخريات فواصلن أحاديثهن.

التقت أختي **تيم**، أخبرته بالتفاصيل، فأسرع إلى مركز الشُرطة، الذين اقتحموا المكان في الحين، قبضوا على جميع الخليّة، حتى النسوة الجالسات هناك حكمت عليهن المحكمة بالسجن، تمَّ تفتيش غرفة الساحر فوجدوا نسخ من بطاقات التعريف للزائرات، إذ كان يطلب منهن وثائق تثبت هويتهنّ، ومن بين تلك الأوراق انكشف

اسم **رفيدة**، فجاءها العقاب، سُجِنت بدل أن تتزوج، تجرّعت سوء أعمالها، فكانت خاتمتها سوداء.

شاع خبرها في مقر سكننا ب"سانجو"، انزعج كامل الجيران، لم تتحمّل أُمّها فانتحرت حرقًا، صبّت البنزين على جسمها وأوقدت النار، لم تنجو المسكينة، تسببت ابنتها الوحيدة في هدم ما حاولت هي بناءه بعرق جبينها، عملت مُنظّفة في المستشفى، وفي عطلة نهاية الأسبوع تُنظِّف بيوت العائلات الغنيّة، لكن ابنتها كبرت بعقدة نفسية خطيرة، شعرت بالنقص، خجلت من عمل أمّها، من نظرة المجتمع باعتبارها ابنة امرأة مُطلّقة.

تحدّثت **لميس** مع أمي، حينها أخرجني أبي من المستشفى لأنّ الطبيب رفض أن يقوم المرقي بعلاجي رفع صوته قائلا: هذا كلّه دجل في دجل، ابنتكم سقطت فدخلت في غيبوبة، هيا أخرجوها من هنا، اذهبوا إلى مستشفى خاص أو إلى مشعوذ أنتم أحرار، تبا ما هذا الجهل.

لم يُصدّق الطبيب وجود المرض الروحي، مثله يأخذون بنتائج التجارب وما تقوله الكُتب العلمية فقط لا يُصدِّقون بالسحر والعلاج بالرقية.

اعترفت **رفيدة** بأفعالها، سردت عليهم ما حدث في جلسة محاكمتها قائلة: أخذت أثرًا من حيض **بسمة** وشعرة من رأسها، بالإضافة إلى خمارها الزهري الجميل، أغار منها حينما تلبسه تجذب النظر إليها أمّا أنا فأجمل منها، لكن لا أحد يحبّني سواء من الجيران في الحي، أو من زميلاتنا في الجامعة نعم قتلني الحسد، عاشت هي وسط عائلة سعيدة، والدها إلى جانبها، أمها كالملكة لا تعمل تحت أقدام النساء الحرائر، أما أمي فعاشت ذليلة يقذفها الناس بأبشع الأوصاف، فهل ظننتم أن أعيش ذات الفقر، لا أبدا، ناضلت لكن حبيبها **تيم** كشف خُطّتي، أنظروا هل هذا عدل حتى في الحب أحسنت الاختيار أمّا أنا فوقعت على رجل غبّي يُسيرونه كيفما أرادوا...

نعم سحرتها، كانت شبه مجنونة مُنعزلة عن العالم ترفض الزواج، لا تنام ليلاً، كل ذلك أخبرني به المشعوذ، حتى اليوم الذي خرجت فيه كان مدروسًا بإتقان إنّها عشيّة خسوف القمر، لن تستطيعوا فكّ

سحرها حتى خُسوف دمويّ آخر، هذا السحر قويّ فتبا لكم وللمجتمع الذي احتقرني.

أجهشت أُمّي، أما القاضي فحكم عليها بعد اعترافها بالسجن مدى الحياة، مع إمكانية خفض العقوبة إلى أربعين سنة فيما لو تم تأكيد إصابتها بمرض نفسي أو عقلي.

الجزء الرابع: اكتشاف اللعنة

"لا تُخبروا الأشرار بقصتي"

استمر إمام حيِّنا في علاجي بالرقيّة، طيِّب لا يأخذ مالا مقابل ذلك...

سأرجع بكم إلى اللحظة التي زحفت فيها إلى الإسطبل، في تلك اللحظات تخبّطت في الفراش، نزل دم من رحمي، وسوائل من فمي، لم يتوقف الشيخ عن تلاوة القرآن، كانت الأحصنة تتخبّط في السقف، علقنا جميعًا هناك، أما العجوز **سعدية**، فاسوّد وجهها، احترق جسدها وتحوّل إلى رماد، بدأ السحر في التلاشي.

واصل الشيخ علاجه، أخبرتني أمي أنّني تخبطت كثيرًا، لكن لم أفتح عيناي ولا مرّة، حينها قرّر أبي زيارة **رفيدة** في السجن: أرجوكِ، أخبريني عن التفاصيل الأخرى، أين وضعتم السحر...

ضحكت بسخرية: في حَدوة حصان، لا تسأل أكثر لا أملك جوابًا، إن أردت اسأل الساحر.

آخر ما رأيته في المنام أنّي كنت معلّقة في السقف مع الأحصنة، نعم معلّقة بين الحياة والموت، أُخاطب نفسي، لا أقوى على الرجوع للواقع، أنا محجوزة في الخيال، مسجونة في السراب، معصوبة العينين، أعيش ما قبل الحقيقة، حزنت أمي بشدّة، ها قد مضى شهر دونما تحسُّن، رفض المشعوذ التصريح بمكان وجود الحصان: إن أردتم الحقيقة أطلقوا سراحي، مثلما سحرته سأُبطله وإلاّ فانتظروا موتها ها ها أو ترقّبوا حدوث خسوف آخر...

أوشك أبي أن يخنقه، انقضّ عليه كالأسد، فلذة كبده تموت وذاك المعتوه يتلاعب بالكلمات ...

تذكّر **تيم** زوج الخياطة، أخذ والدي على جنب وأخبره، لم يتمالك فـشدّه من يده وذهبا الى الحي استفسرا عن الرجل، فأخبرهم الجيران بهربه، لكن زوجته في المستشفى بسبب تناولها لجُرعة زائدة من المخدرات، ركضا إلى هناك.

قالت لهما: هناك إسطبل خاص تُمارس فيه الشعوذة، ببلدية الخروب، وصفت المكان بإتقان، فقامت الشُرطة بمحاصرته، أخذوا معهم الراقي، يحوي الإسطبل خمسة أحصنة نفس العدد الذي رأيته

في المنام واحد بني وثلاثة سود وآخر أبيض، قاموا بتفتيش أرجل الأحصنة، يا إلهي مدسوس داخل كل حدوة ورقة مكتوبة بخط غريب، أمّا الحصان البنّي حدوته تحوي صورتي ممزّقة إلى أشلاء وورقة مكتوبة بالدم، قامت الشرطة بالتقاط الصور كأدلة إدانة، ثم تركوا المهمة للراقي الذي بدأ بفكِّ السحر، في اللحظة التي انتهى فيها، استيقظت من الغيبوبة، فتحت عيناي، حضنتني أمي ودموعها كالشلال، كنت عطشانة جدا، جسمي يرتجف، اتصلت **لميس** بأبي: الحمد لله نجت أختي من السحر الأسود.

كان زفافنا بسيطا، عشاء عائلي في البيت...

همست **لميس** في أذني: ها قد ارتاحت ماما، شاء الله أن تتزوّجي قبلي، أحبُّك أختي كوني سعيدة.

سافرنا إلى تركيا، سجّلت بالجامعة ماستر أدب إنجليزي، أمّا تيم ففتح مكتبة، حقّق حلمه، وفي عيد ميلادي أعطاني هديّة، كتاب: الربيع العربي: أية حقيقة؟

ضحكت بشدّة أنت مجنون، لماذا اخترت هذا الكتاب بالضبط...

حرمتك من الاستمتاع بقراءته في ذلك اليوم، لأجل أن أعترف لك بحبِّي يا جبانة، هس يا مجنون، هربت منك إليك، أحبُّك

رفع حاجبيه، بعد الانتهاء منه سنتناقش، لن أُهزم هذه المرة، قرأته مرتين قبل أن أهديكِ إيّاه.

ليست النهاية...

وصيّة

عندما يسكن الشر قُلوب البشر...

تتحوّل إلى غابة تنهش فيها الذئاب أجساد الكائنات الجميلة ذات الأرواح النقيّة التي تُعانق صفاء السماء وما تبقَّى من بصيص الحب

السعادة تُشبه أعماقنا، سنضيع بحثًا عنها حينما نسمح للكراهية باقتحامنا.

كونوا طيِّبين، لا بأس بالقليل من السذاجة، لكن إيّاكم والانتقام وتربية الحقد، سيكبر ذلك الوحش ويلتهمكم.

ستتجرّعون الوجع حدَّ تمنيكم الموت.

أفسحوا الطريق للحب، أُتركوا المشاعر الجميلة تتسابق إليكم.

فالحياة أجمل حينما نبتسم والبسمة تدوم بدوام الحب.

هذه القصص ليست خيالاً عاريًا من الحقيقة

بل تُحاكي رؤى المنام، وفواجِع الواقع

الفهرس

إهداء..... 5
مقدمة..... 7
آخر شيطان في المدينة..... 9
الجزء الأوّل: بداية الهلاك..... 10
الجزء الثاني: أيّام سوداء..... 15
الجزء الثالث: بعضٌ من الحُب..... 28
الجزء الرابع: عودة الشيطان..... 36
الحصان الملعون..... 43
الجزء الأول: أين أنا؟..... 44
الجزء الثاني: الحب لا ينسى أحدًا..... 60
الجزء الثالث: وحيدة..... 75
الجزء الرابع: اكتشاف اللعنة..... 84
وصيّة..... 88
الفهرس..... 91

مطبعة دار الماهر الصناعية-أكتوبر 2019-

جميع الحقوق محفوظة